شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد الحادي والسبعون، السنة السادسة ، ربيع الآخر ١٤٣٧ – كانون ثاني ٢٠١٦

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه

المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار

- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

71

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — العبوديّة.. أو الافتراس ..... الشيخ حسين كوراني 6

تحقيق — المدارس والحوزات العلميّة في جبل عامل ..... د. الشيخ عدنان فرحان آل قاسم 8

مراقبات — مراقبات شهر ربيع الآخر ..... إعداد: "شعائر" 13

أحسن الحديث — موجز في تفسير سورة "المعارج" ..... سليمان بيضون 16

العرش مقام العلم والتدبير الإلهيَّين ..... العلّامة السيّد الطباطبائي رحمه الله 18

أيام الله — مناسبات شهر ربيع الآخر ..... إعداد: "شعائر" 21

وقال الرسول — خِصالُ العاقل ..... إعداد: "شعائر" 24

حدود الله — صلاة الاستيجار ..... الإمام الخميني قدس سره 25

يزكّيهم — كونوا فاعلين، ولا تكونوا قوّالين ..... الشّيخ بهجت قدس سره 26

مكارمُ الأخلاق المحمديّة

الملف — جمالُ الأدب الإلهيّ وتمامه 27

استهلال: فَضَمَ الدّنيا فَضْماً، ولَمْ يُعِرْها طَرْفاً ..... نهج البلاغة 28

صفاتُ النبيّ الخاتم بلسان أوصيائه عليهم السلام ..... رواية الشيخ الصدوق قدس سره 29

جامعُ الأدب الإلهيّ الأجمل ..... العلامة الطباطبائي رحمه الله 31

خصالُ النبيّ من (مكارم الأخلاق) للطبرسي ..... إعداد: "شعائر" 38

مكارم الأخلاق من النبيّ الخاتم إلى الوليّ الخاتم ..... محمود إبراهيم 40

لولا دعاؤكم — ..فطالَما عوَّدتَني الحَسَن الجميل ..... إعداد: "شعائر" 43

صاحب الأمر — معنى نفي المشاهدة في عصر الغَيبة ..... الشيخ حسين كوراني 44

تحقيق

الحوزات العلميّة
في جبل عامل

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	صلاة المودِّع	السيّد ابن طاوس قدس سره	46
يذكرون	أذكار وأدعية لدفع الهموم	القطب الراوندي رحمه الله	47
حوارات	مع المرجع الشيخ السبحاني حول الدين الخاتم	إعداد: "شعائر"	48
فكر ونظر	إجماع المسلمين على فضيلة التعبّد بالمستحبّات	العلّامة المجلسي رحمه الله	52
أعلام	الفقيه الشيخ محمد مهدي النراقي	إعداد: هيئة التحرير	57
كلمة سواء	مكانة الإنسان في نظام العلاقات الاجتماعيّة	الشهيد السيد محمّد باقر الحكيم	61
وصايا	من وصايا الحكيم الإلهي الشيخ حسن زاده آملي	إعداد: "شعائر"	62
مرابطة	جريمة آل سعود. اغتيال العلامة النمر رحمه الله	إعداد: "شعائر"	64
وثائق	من تاريخ التشيّع في البحرين	إعداد: "شعائر"	66
دوائر ثقافية			67
موقف	كمال العمل بإخلاص النيّة	الإمام الخميني قدس سره	68
فرائد	تخريق صحيفة السيّئات	إعداد: "شعائر"	69
قراءة في كتاب	"سفينة البحار ومدينة الحِكم والآثار"	إعداد: "شعائر"	70
مصطلحات	الإخبات	الشيخ حسن المصطفوي	73
بصائر	من مصاديق الصدقة	الشهيد الأوّل قدس سره	74
بصائر	تيسير أبواب الدعاء وطرقه	المرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي	75
نفسٌ مطمئنّة	فقيد العلم والجهاد الشيخ محمّد خاتون رحمه الله	"شعائر"	76
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	78
إصدارات	عربية	إعداد: ياسر حمادة	81
أيّها العزيز	التفكّر في القرآن	الإمام الخميني قدس سره	82

بسملة

من «قابيل» إلى أميركا ودواعشها الصّهاينة، وآل سعود:
العبوديّة، أو الافتراس.

■ بقلم: الشيخ حسين كوراني

بسملةمن «**قابيل**» إلى كلّ فرعونٍ هَلك، مروراً بإقامة الاستكبار الأميركيّ — قطب الفساد الأوحد في الأرض — على أنقاض «**الهنود الحُمر**»، وصولاً إلى إعدام شهيد كلمة الحقّ والعدل العلّامة الشّيخ نمر النّمر، مسارٌ إجراميٌّ، «**داعشيٌّ**»، واحد.

الامتياز الأخطر للقابيليّة — الدّاعشيّة — الأميركيّة، أنّ الذّئب لم يكتفِ — هذه المرّة — بارتداء ثوب الحَمَل، أو ثياب الواعظين، ولم يكتفِ بدعوى ترسيخ دعائم الدّيمقراطيّة، وعولمة الحضارة، وتوطيد أركان النّظام الدّوليّ الجديد، بل زعم أنّه «**إله العالم**»، يَبنيه «**كما يحلو له**».

كان كلّ فرعونٍ أو نمرود يخاطبُ أهلَ مملكته: «**أنا ربُّكم الأعلى**»، أمّا الفرعون الأميركيّ فهو يعتبر كلّ أهل الأرض — مع مَن يبحث عنهم من سكّان النّجوم والأفلاك — عبيداً له، ومَن أبى فالدّاعشيّة الأميركيّة له بالمرصاد!

***

كما يخطّط الشّيطان ليُعجَبَ المصلّي بنفسه، ويرائي، ولا يستشعر الخشوع في صلاته، فتكون صلاته شيطانيّة.

كذلك هي فتنة أميركا السّياسيّة.

إحذر أن تمَسّ — اقتصاديّاً، أو أمنيّاً، أو عسكريّاً — سلطانها الأوحد على الكرة الأرضيّة — وعلى ما يُمكن أن يواليها من النّجوم وغيرها — واصنع ما شئتَ.

استهدفها — حتّى النّمالة — بالخُطب النّاريّة والكلام.

واربط بينها وبين أدواتها كما تريد. لا تدّخر في مواجهتهم وُسْعاً، ولا تبقِ منهم — إن استطعتَ — ولا تذَر.

إنّما أنت — في الغاية — بعضُ أدواتها، **تواجه أميركا أميركيّاً**، وكما يحلو لها. جمعيّاتُ التّنمية! الأميركيّة وغيرها، تفتح لك الذّراعَين، والهاوية.

***

لا يُصيب من أميركاً مقتلاً أن يقتصر «**الثّوّار**» على تحميلها المسؤوليّة عن إجرام دُماها. إنّه إعلانٌ مجانيّ لتثبيت تَجبُّرها. يُطربها الخطابُ الثّوريّ الذي يجعل منها قدَراً لا محيصَ عنه ولا فكاكَ منه.

لا يُصيب منها مقتلاً، أن يقتصر العمل العسكريّ والأمنيّ، بل وحتّى المقاطعة الاقتصاديّة، على أدواتها.

تهتزّ طرباً لكلّ عملٍ «ثوريّ» يعمّق حاجة عملائها للاستقواء بها، خصوصاً في مجال السّلاح والسّلع الاستهلاكيّة.

***

لماذا — إذاً — لم تُستهدف «**أميركا**» اقتصاديّاً وأمنيّاً وعسكريّاً — مع استهداف «**إسرائيل**» — واقتصر الرّدّ — في الأعمّ الأغلب — على الكيان الصّهيونيّ وحسب؟

لماذا لم تُستهدف أميركا بعد كلّ عدوان سعوديّ على الأمّة، منذ اعتمدت أميركا «آل سعود» الوجه المضمر لغدّتها السّرطانيّة في المنطقة، والرّافعة الحامية والحاضنة للكيان العنصريّ الدّخيل؟

لماذا تصرّ حركات التّحرّر على تجهيل الفاعل، ولا تثأر من أميركا للجرائم التي تحرّض عليها وتتسبّب بها، وتنفّذها أدواتها في المنطقة والعالم بأسره؟

لو أنّ الأمّة اعتمدت الرّدّ على كلّ مجزرة يرتكبها عملاء أميركا — مع ضرب العملاء — بضرب المصالح الأميركيّة — ولو الاقتصاديّة فقط — بالوسائل الأنجع، فهل كان راهن الأمّة هو هذه المرحلة السّعوديّة الوهابيّة الدّاعشيّة، المتهالكة على إنقاذ «إسرائيل» من الزّوال؟

***

أخطر نتائج عدم الرّدّ على الجرائم الصّهيونيّة بضرب مصالح أميركا اقتصاديّاً وعسكريّاً وأمنيّاً، هو التالي:

١— أنّ المجرم الأميركيّ صار الحَكم، وعلى الأقلّ الوسيط المحايد، الذي يعمل جاهداً لتثبيت مبدإ الدّولتين، ومصادرة حقّ العودة!

٢– أنّ «**آل سعود**» تمكّنوا من تثبيت زعامتهم في المنطقة والعالم الإسلاميّ. لم نربط عمليّاً بينهم وبين أسيادهم. اقتصر الجهر بالرّبط التّنظيريّ – وللأسف – على قلّة من اليسار العربيّ، في حين اكتفى الإسلاميّون – غالباً – على تكوين قناعة عن عمالة آل سعود والوهابيّين عموماً لا يجهرون بها! أدخل هذا الموقف الأمّة في نفق مظلم طيلة قرنٍ من الزّمن أو يزيد. لولا فرادة التّسديد الإلهيّ للإمام الخامنئيّ وحكمتُه البالغة، لما ظهرت بوادر عودة الأمّة إلى ثوابتها العقائديّة، لتجهر بأعلى الصّوت: «**الوهّابيّون ليسوا مسلمين**».

٣– وأخطر هذا الأخطر، موقف غالب حركات التّحرّر العربيّة – المتواصل – من دواعش أميركا السّعوديّين الوهابيّين والتّكفيريّين، في العراق وسوريا، وغيرهما. لم نردّ على جرائم الدّواعش بالانتقام من أميركا.

والأدهى في هذا الأخطر أنّنا لم نحمّل أميركا ولو نظريّاً وبملء اليقين جرائم دواعشها الجدد، واقتصر الرّدّ من بعضنا على تحميل أميركا المسؤوليّة على استحياء وتَلَعْثُم متقطّعَيْن.

من يتحدّث بلغة التّلَعْثُم والخجل التي تنمّ عن عدم اليقين، تجده في حديث آخر ينطلق من القناعة التّامّة بأنّ التّحالف الأميركيّ في المنطقة يهدف إلى القضاء على داعش.

وتسأله: ألم تقل إنّ داعش أميركيّة؟ فيتلعثم ولا يخجل. ويبلغ انعدام الخجل والحياء حدّاً تجد معه قياداتٍ عراقيّة – مثلاً – تُسهم في لجم حراك «**الحشد الشّعبيّ**»، لتتفرّد أميركا بتحرير الرّمادي ثمّ الموصل!!

الهدف منعُ الحشد الشّعبيّ من مواصلة انتصاراته حتّى لا يحصد قادته مقاعد المجلس النّيابيّ في الانتخابات القادمة، فينجز تحرير العراق من أميركا وكلّ دواعشها.

٤– ومن نتائج عدم الرّبط العمليّ – بالرّدّ الفاعل ولو عبر مقاطعة البضائع الأميركيّة – بين جرائم أدوات أميركا وبين سيّدها الأميركيّ، العجز عن الرّبط العمليّ بين «**آل سعود**» وبين «**الدّواعش**».

مَرَدْنا على التّسطيح، وتجهيل المحرّض الفاعل الأوّل، فبلغنا مع ظاهرة الدّواعش الأميركيّة السّعوديّة غاية الغباء السّياسيّ المذهل.

أُريد لنا أن نعمى فأضفنا الصَّمَم. أُريد لنا أن نصدّق أنّ ظاهرة الدّواعش قد تشكّلت وأقامت دولة، وصدّرت النّفط واستوردت التّرسانات الهائلة من السّلاح والمقاتلين من أربع رياح الأرض، دون غطاء من أيّ دولة، فصدّقنا وصفّقنا، وها نحن نؤدّي التّحيّة في «الرّمادي» للتحالف الأميركيّ لدوره الرّياديّ في دعم الجيش لمواصلته «تحرير قلب العروبة النّابض»، ونشدّ على يده لتحرير «**الموصل**»! ولولا قتل آل سعود العلّامة النّمر لكُنّا اليوم نشهد مراسم افتتاح السّفارة السّعوديّة في العراق! ومن يدري؟!

٥– ما يجري منذ حوالي عشرة أشهر في اليمن، من عدوانٍ سعوديٍّ غير مسبوق في تاريخ الحروب، ليس إلّا بعض نتائج الصَّمَم والبُكم اللّذين أصابانا طيلة حوالي قرنٍ – بكماله والتّمام – فوقعنا في مؤامرة التّزييف البريطانيّ – الأميركيّ الأكبر، عبر تنصيب آل سعود ممثّلين رسميّين للأمّة التي تبرأ منهم ولا تعترف بإسلامهم، فإذا بأكثر الأمّة لا يجرؤ على الجهر بحقيقة أوضح من الشّمس: «لو كانوا آل سعود من المسلمين لما تعمّدوا سياسة الحرق والإبادة في اليمن».

لو كانوا من البشر لما أحرقوا البشر والشّجر والحجر.

﴿..إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

***

في الخلاصة: أدّى الانخداع بزَيف آل سعود – **بالرّغم من إجماع علماء الأمّة شيعةً وسُنّةً على أنّهم ليسوا مسلمين** – إلى استمرار تسلّطهم إلى زعامة العالم الإسلاميّ، وتمكينهم من دعم الكيان الصّهيونيّ، واستنساخهم ذئاب الدّواعش منهم وعنهم، وإطلاقها لتمزيق الأمّة وتقطيع أوصالها، وإراحة الكيان الصّهيونيّ.

وأدّى تجهيل العدوّ الأساس وهو أميركا، وعدم استهدافها اقتصاديّاً، وعسكريّاً، وأمنيّاً، إلى إراحتها لتُواصل الإمساك بزمام المبادرة، وتُمعن في مخطّطاتها التّآمريّة عبر **وجهَي الغدّة السّرطانيّة، الصّريح والمضمَر** أي اليهود في فلسطين والحجاز، وصولاً إلى قتل شهيد الإسلام – وكلّ الأحرار – العلّامة الشّيخ نمر باقر النّمر رضوان الله تعالى عليه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾.

المدارس والحوزات العلميّة في جبل عامل
منبتُ الفقهاء، ودوحة العلماء الشهداء

حوزة الشهيد الأول في مدينة جزين

د. الشيخ عدنان فرحان آل قاسم

«تؤكّد المعطيات التاريخية أنّ وجود الحركة العلميّة في منطقة جبل عامل سبق وجود المدارس والمعاهد العلميّة فيها، فقد شهدت هذه المنطقة في أدوارها الأولى حركة علميّة متنامية، وحلّ فيها علماء كبار يُشدّ رحال أهل العلم إليهم، من أمثال طامان بن صالح العاملي (ت: ٧٢٨ للهجرة)، والشيخ صالح بن مشرف العاملي، والشيخ مكّي ابن محمّد الجزيني وغيرهم، واتّخذ أولئك العلماء من بيوتهم ومساجد قراهم أماكن للتعليم والإرشاد، ولم يذكر المؤرّخون أنّهم أسّسوا مدرسة أو درّسوا في معهد، والغالب أنّ عوامل السياسة كانت تَمنعهم من الدراسة بالصورة الظاهرة؛ فكان الأبناء يتلقّون عن الآباء تحت طيّ الخفاء، وهلمّ جرّاً إلى أن تأسّست المدارس».

هذا التحقيق المقتطف من موسوعة (تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية — ستّة مجلّدات) للدكتور الشيخ عدنان آل قاسم يعرّف بأبرز الحوزات العامليّة ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريّين.

لقد توزّعت أماكن التعليم في حوزة جبل عامل الدينية – كغيرها من الحوزات العلمية – على أماكن متعدّدة، كان لكلٍّ منها دورٌ في تطوّر الحركة العلميّة في هذه المنطقة، فتعدّدت حلقات ومجالس الدروس العلميّة بتعدّد هذه الأماكن، فكانت بعض منازل العلماء والمساجد والحسينيّات، والمدارس، أماكن للدراسة وملتقى للعلماء وطلّاب العلوم والمعارف.

وكان لظهور المدارس والمعاهد العلميّة في هذه المنطقة أثرٌ كبير في نموّ الحركة العلميّة، ورفدها بكبار العلماء الذين قاموا بدورهم العلمي والتبليغي، سواءً في موطنهم (جبل عامل)، أو في الأماكن التي هاجروا إليها. وعلى هذا، تُعدّ المدارس أهمّ عامل في تنشيط الحركة الفكريّة والأدبيّة في جبل عامل، وهي أكثر البواعث أثراً في تعميم المعرفة، ونشر الثقافة، ولم تعرف الحركة الأدبيّة شكلها

الصحيح قبل عهد المدارس في جبل عامل، ولم يخلُ هذا الجبل منذ القرن السابع حتّى أيّامنا هذه، في أيّ عهدٍ من عهوده السابقة، من ظلّ المدارس، فإذا ما خبت واحدة قامت أختها.

مراحل إنشاء المدارس العلميّة في جبل عامل

يمكن تقسيم تاريخ المدارس التي أُنشئت في جبل عامل إلى عدّة مراحل، بحسب تسلسلها الزمني:

المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس: المدارس العلميّة القديمة في

حوزة كرك نوح الأثرية

جبل عامل يبدأ تاريخ تأسيسها من منتصف القرن الثامن الهجري بمدرسة جزّين، وتنتهي بنهاية القرن العاشر الهجري تقريباً.

فقد أُنشئت في جبل عامل من عهدٍ قديم عدّة مدارس كان أهمّها في جزّين، ومشغرة، وجُبَع، وعيناثا، وميس الجبل، والنبطيّة، وكرك نوح، وبعلبك، وهاتان الأخيرتان وإن لم تكونا داخلتَين في جبل عامل، إلّا أنّه صار متعارفاً إدخالهما فيه. وخرج من هذه المدارس الجمّ الغفير من فحول العلماء، وكانت الهجرة إليها من البلاد النائية، وذلك في أوائل المائة العاشرة. وكانت هذه المدارس قلّما تخلو في عصرٍ من التدريس لتعاقب وجود العلماء الأعاظم فيها.

المرحلة الثانية: مرحلة الركود: حيث «قلّ الاشتغال حينئذٍ بتحصيل العلم، وانصرف همّ القوم إلى لمّ شعثهم وحفظ كيانهم بين مجاوريهم في تلك الفوضى السائدة، وقلّ فيها عديد أهل الفضل، ولكنّه لم ينقطع، بل لم تخلُ البلاد من العلماء»، كما في تكملة أمل الآمل للسيد حسن الصدر.

المرحلة الثالثة: مرحلة الانبعاث المجدّد: وهي المرحلة التي أعقبت هلاك أحمد الجزّار، حيث استردّ الناس أنفاسهم، ورجعت حركة العلم إلى عهدها، وفُتحت مدرسة «الكوثريّة» بإدارة العالم المحقّق الشيخ حسن القبيسي، فكانت مصدر فائدة ومعرفة في البلاد.

وظهرت في هذه المرحلة مدارس مهمّة أسّسها علماء كبار من قبيل مدرسة «بنت جبيل»، التي عمّرها بالإفادة والاستفادة رئيسها العلّامة الشيخ موسى شرارة، والتي كانت حافلة بطلّابها وفضلائها، ومدرسة «حانويه»، ومدرسة «أنصار».. وغيرها.

المرحلة الرابعة: مرحلة الانبعاث المعاصر: وهي المرحلة المعاصرة التي انبعثت فيها الحركة العلميّة مجدّداً، وأنشئت خلالها مدارس ومعاهد مهمّة.

وفي ما يلي استعراضٌ وشرحٌ لمدارس ومعاهد وحوزات جبل عامل خلال المراحل الثلاث الأولى.

المدرسة الدينية في بلدة ميس الجبل

المدارس القديمة في جبل عامل

١ - مدرسة جزّين: تُعدّ مدرسة جزّين العلميّة من أقدم مدارس جبل عامل وأكثرها شهرة، وكانت مقصداً للمعرفة، ومجمعاً للعلماء والمفكّرين منذ القرن السادس الهجري، ولكن تأسيس المدرسة المنتظمة فيها لم يكن إلّا على يدَي الشهيد الأوّل، شمس الدين محمّد بن مكّي الجزّيني العاملي. ويبدو أنّه أنشأها بعد عام ٧٧١ للهجرة، لمّا عاد من الحلّة. ولقد صار لهذه المدرسة شهرة كبيرة في الجبل وخارجه. وكان في جزّين اثنا عشر شيخاً من العلماء الأفاضل، ولذا كانت جزّين محطّاً لرجال وطلبة العلم ومنتجعي الأدب، ونبغ في جزّين عددٌ كبير من العلماء على التوالي، وكان بينهم الفاضلات والعارفات من النساء، منهنّ المجتهدة الفاضلة ستّ المشايخ فاطمة أمّ الحسن بنت الشهيد الأوّل، التي أولاها إخوتها العلماء الفتوى بكلّ ما يختصّ بالنساء من أمورهنّ الدينيّة.

واستمرّت هذه المدرسة في عطائها العلمي حتّى قُتل الشهيد الأوّل في دمشق، فأُقفلت مدرسة جزّين، وتفرّق تلامذتها. ولم يُسمح لهذه الجامعة في جزّين أن تكمل عملها التثقيفي ومهمّتها العلميّة، فخسرت مكانتها بعد أن هجرها ساكنوها، ولم يبقَ من آثار ماضيها العلمي غير جبّانة وقد درست اليوم، وجامع كان بعضه باقياً ثمّ درس كلّه، وقد كان ما يزال بادياً بأنقاضه عام ١٩١٢م.

يقول أحد المؤرّخين: «كانت مدينة جزّين مدينة إسلاميّة تقطنها غالبيّة شيعيّة، وقد تحوّلت أوائل القرن العشرين أو قبله بقليل إلى مدينة مسيحيّة غالبيّة أهلها من الموارنة، وكانت للشهيد الأوّل آثار باقية بها، منها مسجده الذي يُنسب إليه، وداره أو مدرسته العلميّة العتيدة، وقد حُوِّل المسجد إلى كنيسة، والدار (أو المدرسة) إلى طريقٍ عام، تعرَف اليوم بمنطقة الساحة».

٢- مدرسة ميس الجبل: أسّسها العلّامة الفقيه الشيخ علي بن عبد العالي الميسي، المتوفّى سنة ٩٣٣ للهجرة، وهو المشهور عند علماء الشيعة بالمحقّق الأوّل الميسي، وصاحب (الرسالة الميسيّة) في الفقه.

آثار مدرسة «جويّا» لآل خاتون

وكانت مدرسته مثابة طلّاب العلوم من عامّة أنحاء جبل عامل، ورحلة فضلاء الشيعة من العراق وإيران وشيعة سوريا، وقد بلغ عدد طلّابها في ذلك العصر أربعمائة طالب، وينتسب إليها الكثير من العلماء كما ورد في (أمل الآمل)، منهم العلّامة العظيم الشهيد الثاني. لقد استمرّت مدرسة ميس في عطائها العلمي حتّى شاخ مؤسّسها وشاخت معه، فترك مؤسّسها التدريس فيها في أواخر عمره، وانتقل إلى قريةٍ أخرى، فانطوت بذلك صفحة من صفحات تاريخها العلمي. ولم يُقدَّر لمدرسة ميس البقاء والاستمرار بعد الشيخ الميسي الذي توفّي في قرية صدّيقين ودُفن فيها، وبسبب هجرة معظم علمائها منها.

ومن أبرز القدماء الذين خرجوا من مدرسة ميس الجبل الشيخ لطف الله الميسي، الذي هاجر إلى أصفهان ومات ودُفن فيها حيث بُني له مقام ومسجد معروف، ما زال في مدينة أصفهان حتّى اليوم مشهوراً ببنيانه البديع، وقد كان معاصراً للشاه طهماسب الصفوي. وهناك علماء آخرون ينتسبون لبلدة ميس ومدرستها العلمية.

٣- مدرسة جبع: «..كانت قرية جبع (جباع) هي وجزّين ومشغرة مجمع علماء جبل عامل وطلّابها، وفيها جامع عمّره الشهيد الثاني، بناه بيده، لا تزال جدرانه قائمة إلى اليوم، ومحل داره معروف إلى اليوم، وكرم العنب الذي كان يبيت فيه محلّه معروف إلى اليوم»، كما في (خطط جبل عامل) للسيّد محسن الأمين.

وقد خرج منها جملة من العلماء يعسر إحصاؤهم، منهم الشيخ بهاء الدين العاملي ووالده. وهنالك علماء كبار ينتسبون إلى هذه المنطقة وسبقوا عصر الشهيد الثاني، من أمثال الشيخ إبراهيم الكفعمي الجبعي، وهؤلاء يمثّلون العصر الأوّل من عصور هذه المدرسة العلميّة العريقة.

واستمرّت مدرسة جبع في عطائها العلمي، واتّصل عصرها الأوّل بعصرها الثاني والذي اختُتم بالسيّد محمّد بن علي (صاحب المدارك)، توفّي في سنة ١٠٠٩ للهجرة، والشيخ حسن نجل الشهيد الثاني المتوفّى سنة ١٠١١ للهجرة. وبرحيل هذين العلمَين عطِّلت مدارس جبع.

وبعد أكثر من قرنٍ من الزمن، بقيت فيها مدرسة جبع في حالة ركودٍ علمي، دبّت حياة العلم فيها ثانية، واستيقظت من سباتها الطويل بواسطة أحد أعلامها وهو الشيخ عبد الله نعمة المولود في جبع سنة ١٢١٩ للهجرة، والمتوفّى فيها سنة ١٣٠٣ للهجرة.

وكان الشيخ عبد الله نعمة قد أكمل دروسه الأوّليّة عند بعض علماء جبل عامل، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف فدرس عند علمائها من أمثال (صاحب الجواهر)، والشيخ علي نجل الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وغيرهم، حتّى برع في العلوم الشرعيّة بدرجة لا يضاهيه فيها إلّا القليل من العلماء وقتذاك. وبعد رحلة طويلة إلى إيران عاد الشيخ إلى بلده واستقرّ في قريته جبع، لينهض بها علمياً واجتماعياً، فأسّس هنالك مدرسة علميّة عُرفت باسم:

٤- مدرسة الشيخ عبد الله نعمة في جبع: يقول أحد المؤرّخين للحياة العلمية في جبل عامل: «كان علّامة وقته، الشيخ عبد الله نعمة، قد عاد إلى وطنه وافتتح مدرسة جبع، فدلف إليها الطلّاب من فلول المدرسة الكوثريّة وغيرهم، وتخرّج على يديه عدد غير يسير من كبار العلماء وأهل الفضل. وعمّرت هذ المدرسة أربعين عاماً، وأوجدت في البلاد نهضة علميّة واسعة النطاق. وتوفّي العلّامة الشيخ عبد الله نعمة سنة ١٣٠٣ للهجرة، وانتقلت حركة التدريس إلى مدرسة حنوية».

٥- مدرسة عيناثا: عيناثا محطّ رحال العلماء وموطن هجرتهم، وقد قصدها الكثير منهم للأخذ عن علماء هذه القرية اعتزازاً

بمقامهم الشامخ وعلوّ منزلتهم العلمية. وممّن هاجر إليها قديماً الشيخ ناصر البويهي من تلامذة الشهيد الأوّل، ففضّل الإقامة فيها والتلمذة على علمائها. وممّن هاجر إليها أيضاً المولى عبد الله التستري مؤسّس مدرسة أصفهان، لطلب الإجازة من فقهائها، ومنه يُعلم أنّ جبل عامل كانت دار هجرة طلّاب العلم.

ومن الأُسَر العلميّة المهاجرة إلى عيناثا أسرة آل فضل الله الحسنيّون، وهو بيت علم وشرف، أصلهم من أشراف مكّة المكرّمة. وكانت – أي عيناثا – مقرّ أسرة خاتون المعروفة بالعلم، ومنها انتقلوا إلى جويّا. وقد تخرّج من هذه المدرسة نخبة من العلماء ذكرهم الشيخ الحرّ في (أمل الآمل)، والسيّد الأمين في (الأعيان) و(الخطط).

٦- مدرسة كرك نوح: كرك: بمعنى الحصن أو المعقل؛ اسم قرية بأسفل جبل لبنان من جهة الجنوب تُنسب إلى نوح عليه السلام، لوجود قبر ومشهد فيها منسوبَين إليه.

وتُعتبر قرية كرك من الحواضر العلميّة، ويُنسب إليها علماء كبار، وأوّل مَن نُسب إلى كرك من أهل العلم هو أحمد بن طارق الكركي (ت: ٥٩٢ للهجرة) والذي عاش في القرن السادس الهجري، وكان جدّه قاضي كرك نوح. وصفه الذهبي بالمحدّث والعالم، وقال فيه ياقوت: «كان ثقةً في الحديث.. وكان رافضيّاً».

ومن أبرز علماء هذه المنطقة:

١- محمّد بن عبد العالي الكركي (ت: ٨٠٨ للهجرة) وهو من تلامذة الشهيد الأوّل.

٢- الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (ت: ٩٤٠ للهجرة) وهو أشهر مَن أنجبته كرك في كلّ الأزمان، وصاحب الدور التاريخي في الدولة الصفوية. ويعتبر هذا الشيخ هو المؤسّس الحقيقي لمدرسة كرك، كما أنّ قرية كرك كانت في أوائل القرن العاشر محطّ رحلة العلماء وطلّاب العلم، حتّى أنّ الشهيد الثاني ارتحل إليها لطلب العلم كما أخبر عن نفسه، مع كثرة المدارس العامليّة في ذلك العهد.

٧- المدرسة الكوثرية: كان تأسيس هذه المدرسة في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري، وكان إنشاؤها بإيعاز من علماء جامعة النجف الأشرف، وقد تهافت عليها الطلّاب من كلّ حدبٍ وصوب، وتخرّج من هذه المدرسة كبار المجتهدين والمراجع الدينية والشخصيات الأدبية الكبيرة.

ومن أبرز العلماء القدماء الذين يُنسبون إلى هذه القرية هو الشيخ جمال الدين أحمد بن إبراهيم الكوثراني الذي أجازه الشهيد الأول في الحلّة، يوم كان الشهيد من أبرز شيوخ الحلّة وأساتذتها.

ومن أبرز العلماء الذين بعثوا الحياة العلميّة مجدّداً في المدرسة الكوثرية هو الشيخ حسن قبيسي، الذي أسّس المدرسة الكوثرية الجديدة، والتي تصدّرت الحركة الفقهيّة في جبل عامل بعد انقراضها على عهد الجزّار.

٨- مدرسة حنوية: مدرسة حنوية، شيّدها وتولّى رئاستها العلّامة محمد علي عز الدين بعد خروجه من النجف حيث أكمل تحصيله وأحرز درجة الاجتهاد، وكان من أكابر علماء عصره ومن أبعدهم نظراً، وأوسعهم اطّلاعاً، وأوفرهم إحاطة بالعلوم والفنون، بعيداً عن الجمود، يميل بطبعه إلى التوسّع واقتباس النافع من العلوم

حوزة جباع... مدرسة الشيخ عبد الله نعمة

العصريّة والفلسفة الحديثة، وقد ألّف كتباً كثيرة منها: (روح الأمين) في علم الكلام، و(تحفة القارئ) في الحديث، و(سوق المعادن) في فنون شتّى وغيرها، وله ديوان شعر مخطوط. ومن تلامذته:

* العلّامة السيّد نجيب فضل الله المتوفّى سنة ١٣٣٦ للهجرة.
* العلّامة الشيخ مهدي شمس الدين المتوفّى سنة ١٣٣٤ للهجرة.

٩- مدرسة بنت جبيل: يقول السيّد الأمين في (خطط جبل عامل): «من أمّهات بلاد جبل عامل على حدود فلسطين. فيها جامع عظيم بناه الحاج سليمان البزي بوصاية أخيه الحاج محمّد البزي من مالهما المشترك بعناية المصلح العالم الفقيه موسى شرارة. ومن علمائها الشيخ موسى بن أمين شرارة، أنشأ فيها مدرسة دينيّة بعدما حضر إليها من العراق سنة ١٢٩٨ للهجرة، فبقي فيها ستّ سنين وتوفّي. ربّى في مدرسته جماعة من العلماء، وتعلّمتُ في تلك المدرسة نحواً من أربع سنوات، قرأت فيها المطوّل وحاشية ملّا عبد الله والشمسية والمعالم وشيئاً من الشرائع، من سنة ١٣٠٠ إلى سنة ١٣٠٤ للهجرة».

ثمّ يصف الجانب الإصلاحي في حركة الشيخ موسى شرارة، فيقول: «.. ووعظ وأفاد ونشر إقامة عزاء سيّد الشهداء على طرازٍ أحسن من السابق، مقتبس من طريقة أهل العراق، وهذّب الأدب العاملي ونشره على نحوٍ مقتبَس من الأدب العراقي».

وعن مصير مدرسة بنت جبيل يقول السيّد الأمين: «واستمرّت إلى سنة ١٣٠٤ للهجرة، فأفل نجمها بوفاة منشئها».

١٠- مدرسة شقراء: توقّف السيّد الأمين عند بلدته شقراء مؤرّخاً لها ولمدرستها العلميّة، فقال: «شقراء بلد المؤلّف. بها ولد سنة ١٢٨٤ للهجرة، فيها آثار قديمة تدلّ على أنّها كانت معمورة جدّاً..».

ويقول عن مدرستها العلميّة: «مدرسة شقراء، أنشأها جدّنا السيّد أبو الحسن موسى في أواخر القرن الثاني عشر، وكانت من أعظم مدارس جبل عامل في فسيحٍ من الأرض، وبنى فيها ما يزيد على أربعين حجرة، وحفر في وسط دارها بئراً يكفي ماؤها طلبتها، وكانت تحوي نحواً من أربعمائة طالب، يحضر مجلس درسه منهم نحو المائتين. ويقال إنّ أصواتهم عند المذاكرة ليلاً كانت تُسمع إلى مجدل سلم. ووقف لها أرضاً وزيتوناً في وادي الحجير. وهي أوّل مدرسة لها أوقاف في جبل عامل فيما نعلم..».

١١- مدرسة جويّا، لآل خاتون: كانت محطّ رحال طلّاب العلم في السابق، وسكنها من آل خاتون الشيخ علي خاتون، وهي مدرسة قديمة عاشت زماناً طويلاً وتخرّج منها جماعة من العلماء، وهي الآن أطلال دارسة.

١٢- مدرسة النبطية الفوقا (النورية): وتُعرف هذه المدرسة بمدرسة النبطيّة الصغرى وبالمدرسة النورية نسبةً إلى آل نور الدين، وهي مدرسة قديمة استمرت إلى زمن العالم السيّد محمد علي نور الدين، وتخرّج مها علماء وطلّاب كثيرون.

والمدرسة النوريّة هذه، هي غير المدرسة النورية في بعلبك القديمة العهد ذات الشهرة الطائرة، والتي تولّى التدريس فيها الشهيد الثاني سنة ٩٥٣ للهجرة، وكان يدرّس فيه الفقه على المذاهب الخمسة.

١٣- مدرسة كَفْرا: وكان يدرّس فيها الشيخ محمد علي عز الدين قبل مدرسة حنوية، وآل السبيتي.

١٤- مدرسة النميرية: أنشأها الفقيه العالم السيّد علي إبراهيم.

١٥- مدرسة عيثا: أنشأها العالم الصالح السيّد جواد مرتضى، وتعلّم فيها السيّد الأمين النحو والصرف، ثمّ ركدت أنفاسها برجوع منشئها إلى العراق، ثمّ أعادها أخوه العالم الصالح السيّد حيدر.

١٦- مدرسة مجدل سلم: أنشأها العالم الشيخ مهدي شمس الدين.

١٧- مدرسة النبطيّة التحتا: أنشأها العالم السيّد حسن ابن السيد يوسف الحبّوشي المعاصر للسيّد الأمين، وبناها له الحاج حيدر جابر سنة ١٣١٠ للهجرة، وانتفع بها الطلّاب، وكان عمرها بعمر منشئها، كأكثر مدارس جبل عامل، فأفل نجمها بوفاته.

١٨- مدرسة شحور: أنشأها العالم الصالح السيد يوسف شرف الدين، واستمرّت مدّة وذهبت.

١٩- مدرسة طيردبّا: أنشأها العالم الفقيه الشيخ حسين مغنية، استمرّت زماناً واستفاد منها الطلّاب.

حوزة بنت جبيل القديمة

٢٠- مدرسة النبطية الكبرى (الحميديّة): أسّس المدرسة المغفور له السيّد حسن يوسف الحسيني بعد رجوعه من العراق سنة ١٣٠٩ للهجرة، فزهرت بعلومها وطلّابها طيلة أربعة عشر عاماً إلى أن توفّي في سنة ١٣٢٤ للهجرة، فأغلقت المدرسة أبوابها وتفرّق طلّابها، وكانت آخر مدرسة دينيّة على النهج القديم في جبل عامل.

***

هذه هي أهمّ المدارس التي حملت العلم ونشرت الثقافة في جبل عامل طيلة قرون، عدا مدارس صغيرة كانت منتشرة في أنصار، وعيناثا، وطيردبّا. وجميع هذه المدارس كانت تتداول خدمة العلم والمعرفة واحدة بعد أخرى، فما أن تخبو الأنوار في إحداها حتى تُبنى واحدة ثانية تتحمّل عنها أعباءها.

وفي جبل عامل مدن وقرى اقترنت اسماؤها بكبار العلماء الإماميّة إلّا أنّ تاريخها لا يذكر وجود مدرسة أسّست فيها، مثل قرية مشغرة، والتي يقول عنها السيّد الأمين: «كانت هي، وجبع وجزّين منبع علماء جبل عامل، والتشيّع فيها قديم». إلّا أنّه لا يؤرّخ لوجود مدرسة دينيّة قديمة فيها، في الوقت الذي يؤرّخ لمشاهدها ومساجدها وحسينيّاتها. ويكفي هذه المنطقة فخراً أن تكون لها حركة الريادة العلمية في المنطقة من خلال اسم عالمها الشيخ يوسف بن حاتم المشغريّ، الذي كان حيّاً سنة ٦٦٤ للهجرة.

(بتصرّف)

مراقبات شهر ربيع الآخر

الأمانُ لأهل الجانبَين

إعداد: «شعائر»

شهر ربيع الثاني أو ربيع الآخر، هو الرابع من أشهر السنة الهجرية. وفي (روضة الواعظين) للفتّال النيسابوري: «شهر ربيع الأول، وشهر ربيع الآخر سمِّيا بذلك لإنبات الأرض وإمراعها فيهما».

وحول التسمية أيضاً قال المسعودي في (مروج الذهب): « ربيع، وربيع، لارتباع الناس والدوابّ فيهما». والإمراع هو أن يكثر الكَلَأ. والارتباع الإقامة، وهنا النزولُ حيث تكون الخضرة.

ثمّ إنّ العشرة الأوَل من شهر ربيع الآخر تُعدّ من أيام أشهُر السياحة المذكورة في الآية الثانية من سورة التوبة. ففي كتاب (معاني الاخبار) للشيخ الصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ..﴾ التوبة:٢، قال عليه السلام: «عشرين من ذِي الحجّة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشرة أيّام من شهر ربيع الآخر، ولا يُحسَب في الأربعة الأشهر عشرة أيّام من أوّل ذي الحجّة».

وفي اليوم العاشر من هذا الشهر من سنة ٢٣٨ كانت ولادة الإمام الحسن بن عليّ الزكيّ العسكريّ عليه السلام في المدينة المنوّرة، كما في (مسارّ الشيعة) للشيخ المفيد، و(مصباح المتهجّد) للشيخ الطوسي، وفيهما أنّ استقرار فرض صلاة الحضر والسفر كان في اليوم الثاني عشر منه سنة واحد للهجرة.

اليوم الأول

أورد السيد ابن طاوس في (إقبال الأعمال) دعاءً يُقرأ في اليوم الأول من شهر ربيع الآخر، وصفه الشيخ الملكي التبريزي في (المراقبات) بالدعاء الجليل الفاخر، وعدّه من مهمّات الأعمال في هذا الشهر. والدعاء مذكورٌ بتمامه في الجزء الثالث من (إقبال الأعمال) تحت عنوان الدعاء في غرّة شهر ربيع الآخر، وتجده أيضاً في الجزء الثالث من (مفتاح الجنّات) للسيد محسن الأمين، وفي (باب مراقبات) من أعداد شهر ربيع الثاني السابقة من مجلة «شعائر».

اليوم العاشر: ولادة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام

في (مزار) الشيخ المفيد، عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، أنّه قال: «**قَبْرِي بِسُرَّ مَنْ رَأَى أَمَانٌ لِأَهلِ الجَانِبَيْنِ**». وفي (الوافي) للفيض الكاشاني أنّ المراد بأهل الجانبَين المقيمون بجانبَي القبر الشريف، لكنّ المجلسيّ الأوّل فسّر الحديث بأنّ فضله عليه السلام يعمّ الموالين وغيرهم.

وتحت عنوان: فضل زيارة السيّدين أبي الحسن عليّ بن محمّد، وأبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريَّين عليهما السلام، قال الشيخ المفيد: «من الوفاء بالعهد للإمامَين العسكريَّين زيارة قبورهما، والتقرّب إلى الله وإليهما بقصدهما، والتعظيم لحقِّهما، وبزيارتهما يُستفاد من الثواب ما يستفاد من زيارة آبائهما عليهم السلام».

وأورد رضوان الله تعالى عليه مجموعة من الروايات في فضيلة زيارة مشاهد المعصومين عليهم السلام:

- عن الإمام الرضا عليه السلام: «**إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْداً فِي عُنُقِ شِيعَتِهِ، وإِنَّ مِنْ تَمَامِ الوَفَاءِ بالعَهْدِ، وحُسْنِ الأداءِ، زِيَارَةَ قُبُورِهِم، فَمَنْ زَارَهُم رَاغِباً فِي زِيَارَتِهِم كَانُوا شُفَعَاءَهُ يَوْمَ القِيَامَة**».

- وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**مَنْ زَارَ إِمَاماً مُفْتَرَضَ الطَّاعةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَصَلَّى عِنْدَهُ أَرْبَعَ رَكَعات، كَتَبَ اللهُ لَهُ حجَّةً وعُمْرَةً**».

- وعنه عليه السلام أنّه قال: «**مَنْ زَارَنَا فِي مَمَاتِنَا فَكَأَنَّمَا زَارَنَا فِي مَحْيَانَا**"..." **وَمَنْ أَعانَ فَقِيرَنَا كَانَتْ مُكَافَأَتُهُ على جَدِّنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلّم**».

***

وفي (المراقبات) للملَكي التبريزي أنّ أيّام ولادة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هي بمنزلة يوم ولادة رسول الله صلّى الله عليه وآله، من حيث وجوب تعظيمها وأداء مراسم الشكر، واستشعار الفرح بالقلب وإظهاره بالجوارح.

وبخصوص يوم ميلاد الإمام الحسن العسكريّ، قال الشيخ التبريزي: «ولهذا اليوم خصوصيّة من جهة أنّه عليه الصّلاة والسلام والد إمامنا أرواحنا وأرواح العالمين فداه بلا واسطة، فينبغي لرعيّته عليه السّلام تهنئتُه بما يليق بجنابه الأقدس.. وأن يزيد المؤمن في حوائجه التي يعرضها لصاحب الولادة بالتضرّع. وليسأله أن يوصي به عند صاحب العصر عليه السّلام في أن يدخله في نظر لطفه، ويخصّه من بين رعيّته بمكارمه، فإنّ لوصيّة الوالد خصوصيّةً في تأثير القبول».

ونقل السيد ابن طاوس في (إقبال الأعمال) عن (حدائق الرياض) للشيخ المفيد استحباب صوم هذا اليوم العاشر من ربيع الثاني، وأضاف: «إنّ كلّ يومٍ وُلد فيه إمام من أئمّة الإسلام فهو يوم عظيم الإنعام، ينبغي أنْ يُتلقّى بما يستحقّه من الشكر لله جلّ جلاله، والثناء على مقدّس مجده والزيادة في مهمّات حمده. وأن يعترف المؤمن لله جلّ جلاله بما فتح تعالى فيه من الأبواب إلى سعادة الدنيا ويوم الحساب، ويعترف للإمام صلوات الله عليه بحقّه الذي أوجبه الله جلّ جلاله برئاسته وشفقته وعظَمته..».

زيارةُ الإمام العسكريّ عليه السلام

في (المزار) للشهيد الأول، قال: «في زيارة الإمامين الهمامين السّيّدين السّندين أبي الحسن عليّ بن محمّد الهادي، وأبي محمّد بن الحسن عليّ العسكري عليهما السّلام، بسرّ من رأى:

فَإِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ وَوَرَدْتَ مَشْهَدَهُمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، اغْتَسِلْ مَنْدُوباً. فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى قَبْرَيْهِمَا قُلْ:

(السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا وَلِيَّيِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا نَجِيَّيِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا نُورَيِ اللهِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا أَمِينَيِ اللهِ، أَتَيْتُكُمَا زَائِراً لَكُمَا

في التوسّل بالمعصومين عليهم السلام

«إنّ للتوسّل بالإمام الحسن بن عليّ الزكيّ العسكريّ عليه السلام خصوصيّةً في الحوائج الأخرويّة. فإنّ المعصومين عليهم السلام - وإن كان كلّ واحد منهم وسيلةً للعباد في جميع حوائجهم - إلا أنّ لكلّ واحد منهم خصوصيّة لبعض الحوائج أيضاً كما يشهد عليه دعاء التوسّل.

* فإنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وكريمته صلوات الله عليها وسبطيه عليهما السّلام خصوصيّة في الحوائج المتعلّقة بتحصيل طاعة الله جلّ جلاله ورضوانه.

* ولأمير المؤمنين عليه السّلام في الانتقام من الأعداء وكفاية مَؤونة الظَّالمين.

* وللإمام السجاد عليه السّلام في جَوْر السلاطين، ونَفْث الشّياطين.

* وللإمام الباقر والصادق عليهما السلام في الإغاثة على أمر الآخرة.

* وللإمام الكاظم عليه السلام في العافية من المحذورات من العِلل، والأسقام والأوجاع.

* وللإمام الرّضا عليه السلام في النّجاة من مخاوف الأسفار في البحار، والبراري والقفار.

* وللإمام الجواد عليه السّلام في الوسعة والاستغناء عمّا في أيدي الناس.

* وللإمام الهادي عليه السّلام في قضاء النوافل وبرّ الإخوان وكمال الطَّاعات.

* وللإمام الزّكي العسكريّ عليه السّلام في الإعانة على أمر الآخرة.

* ولإمام عصرنا، وملاذنا ومعاذنا، ورجائنا وعصمتنا، ونورنا وحياتنا، الإمام المهديّ عليه السلام في جملة هذه الحوائج وغيرها..».

(المراقبات)

عَارِفاً بِحَقِّكُمَا، مُؤْمِناً بِمَا آمَنْتُمَا بِهِ، كَافِراً بِمَا كَفَرْتُمَا بِهِ، مُحَقِّقاً لِمَا حَقَّقْتُمَا، مُبْطِلًا لِمَا أَبْطَلْتُمَا. أَسْأَلُ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمَا أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْ زِيَارَتِكُمَا الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي شَفَاعَتَكُمَا وَلَا يُفَرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا، وَلَا يَسْلُبَنِي حُبَّكُمَا وَحُبَّ آبَائِكُمَا الصَّالِحِينَ، وَأَنْ لَا يَجْعَلَهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِكُمَا، وَأَنْ يَحْشُرَنِي مَعَكُمَا وَيَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا فِي الْجَنَّةِ بِرَحْمَتِهِ).

ثُمَّ تَنْكَبّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَبْرَيْنِ فَتُقَبِّلُهُ وَتَضَعُ خَدَّيْكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ وَتَقُولُ:

(اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّهُمْ وَتَوَفَّنِي عَلَى وَلَايَتِهِمْ، اللَّهُمَّ الْعَنْ ظَالِمِي آلِ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ وَانْتَقِمْ مِنْهُمْ، اللَّهُمَّ الْعَنِ الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ وَالْآخِرِينَ وَضَاعِفْ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ عَجِّلْ فَرَجَ وَلِيِّكَ وَابْنِ نَبِيِّكَ وَاجْعَلْ فَرَجَنَا مَعَ فَرَجِهِمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

ثُمَّ تُصَلِّي عِنْدَ الرَّأْسِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَتُصَلِّي بَعْدَهَا مَا بَدَا لَكَ، وَتَدْعُو لِنَفْسِكَ وَلِوَالِدَيْكَ وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا تُرِيدُ.

فَإِذَا أَرَدْتَ الِانْصِرَافَ فَوَدِّعْهُمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقُلْ:

(السَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا وَلِيَّيِ اللهِ، أَسْتَوْدِعُكُمَا اللهَ وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمَا السَّلَامَ، آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَبِمَا جِئْتُمَا بِهِ وَدَلَلْتُمَا عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ اكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ).

ثُمَّ اخْرُجْ وَوَجْهُكَ إِلَى الْقَبْرَيْنِ عَلَى أَعْقَابِكَ».

من سيرة الإمام العسكريّ عليه السلام

الإمام أبو محمّد، الحسنُ بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الرضا عليهم السلام. الحادي عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام. وُلد بالمدينة المنوّرة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وانتقل مع أبيه عليه السلام إلى سامرّاء بعد أن استدعاه المتوكّل إليها سنة (٢٣٣ للهجرة)، فبقي بها معه إلى أن اختاره الله إليه سنة (٢٥٤ للهجرة)، فقام الإمام العسكريّ عليه السَّلام بأعباء الإمامة والقيادة بعده، فكان مرجعاً لشيعته ومحبّيه وللعلماء والفقهاء الذي وفدوا إليه من مختلف البلدان، وخاصّة من مدينة قمّ التي نشطت علمياً في عصره، وعصر أبيه عليه السلام من قبل، وضمّت عدداً غفيراً من الفقهاء والمحدّثين الذي تربّوا في ظلال أهل البيت عليهم السلام، وانتهلوا من ذلك العطاء المبارك. كما اتّصل به آخرون عن طريق المراسلة والمكاتبة، وذلك حين تشتدّ الظروف وتقسو، فقد وُضع عليه السلام تحت الرقابة الشديدة في سامراء، وحُبس أكثر من مرة خلال فترة إمامته من قبل الملوك العباسيّين الثلاثة: المعتزّ والمهتدي والمعتمد.

روى عنه أصحابه من الروايات في أنواع العلوم الشيء الكثير. فممّن روى عنه: أبو هاشم الجعفري داود بن القاسم، وإبراهيم بن مهزيار الأهوازي، وأحمد بن إسحاق الأشعري القمّي، وآخرون.

وفي (الكافي) للشيخ الكليني أنّ جماعة من العباسيّين والمنحرفين أرادوا السوء بالإمام العسكريّ عليه السلام، فدخلوا على صالح بن وصيف – وهو من القادة العسكريّين عند العباسيّين في سامرّاء – يطلبون منه تشديد الأمر على الإمام في سجنه.

فقال لهم ابن وصيف: (ومَا أَصْنَعُ؟! قَدْ وَكَّلْتُ بِهِ رَجُلَيْنِ مِنْ أَشَرِّ مَنْ قَدَرْتُ عَلَيْه، فَقَدْ صَارَا مِنَ الْعِبَادَةِ والصَّلَاةِ والصِّيَامِ إِلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، فَقُلْتُ لَهُمَا: مَا فِيه؟).

فقالا: (مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ يَصُومُ النَّهَارَ ويَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّه، لَا يَتَكَلَّمُ ولَا يَتَشَاغَلُ، وإِذَا نَظَرْنَا إِلَيْه ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُنَا ويُدَاخِلُنَا مَا لَا نَمْلِكُه مِنْ أَنْفُسِنَا)، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ انْصَرَفُوا خَائِبِينَ».

وكانت شهادة الإمام عليه السلام في الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠ للهجرة في سامراء، بسمٍّ دسّه إليه المعتمد العباسي، فدُفن إلى جوار والده بدارهما حيث مزاره اليوم.

موجز في التعريف بالسُّوَر

سورةُ المعارج

سليمان بيضون

*** السورة السبعون في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد سورة «الحاقة».**

*** سُمّيت بـ «المعارج» لقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ في الآية الثالثة منها.**

*** آياتها أربع وأربعون، وهي مكّيّة، مَنْ قرأها أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون، كما في الحديث النبويّ الشريف.**

في ما يلي موجز في تفسير السورة المباركة اخترناه من تفاسير: (الميزان) للعلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ رحمه الله و(الأمثل) للمرجع الدينيّ الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، و(نور الثّقلين) للشيخ عبد علي الحويزي رحمه الله.

عرّفت الروايات السورة بـ «سَأَلَ سَائِلٌ» لاستهلالها بهذا التعبير، وقد جاء في (مجمع البيان) للطبرسي عن أبي القاسم الحسكاني بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام في سبب النزول ما مضمونه: أنّه عندما نصّب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم - بأمر من الله تعالى - عليّاً عليه السلام في يوم غدير خمّ وليّاً على المؤمنين من بعده قال في حقّه: «**مَنْ كُنْتُ مَولَاهُ فَعَلِيٌّ مَولَاهُ**»، ولم تمضِ مدّة طويلة حتى انتشر ذلك في البلاد والمدن، فقدم النعمان بن حارث الفهري على النبيّ صلّى الله عليه وآله وقال له: أمرتنا عن الله أن نشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّك رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحجّ والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها، ثمّ لم ترضَ حتّى نصبتَ هذا الغلام فقلت: «**مَن كنتُ مَولاه فعَلِيٌّ مولاه**»، فهذا شيءٌ منك أو أمرٌ من عند الله؟!!

فقال صلّى الله عليه وآله: «**واللهِ الذي لا إلهَ إلا هو إنّ هذا من الله**».

فولّى النعمان بن حارث وهو يقول: اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطِر علينا حجارةً من السماء. فرماه الله بحَجرٍ على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

ولئن كانت السورة مكّية فقد رجّح المفسرون أنّ عدداً كبيراً من آياتها مدنيّ، وبذلك يندفع إشكال نزول الآية بعد واقعة غدير خمّ.

محتوى السورة

تصف السورة يوم القيامة بما أُعِدّ فيه من أليم العذاب للكافرين، وهي تنقسم بحسب موضوعاتها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: يتحدّث عن العذاب السريع الذي حلّ بأحد الأشخاص الذين اعترضوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حادثة سبب النزول (الآيات ١ - ٣).

القسم الثاني: فيه ذكْر الكثير من خصوصيات يوم القيامة ومقدّماتها وحالات الكفّار في ذلك اليوم (الآيات ٤ - ١٨).

القسم الثالث: توضح السورة فيه بعض الصفات الإنسانية الحسنة والسيئة والتي تعيّن هذا الشخص من أهل الجنان أم من أهل النار (الآيات ١٩ - ٣٥).

القسم الرابع: يشمل إنذارات تخصّ المشركين والمنكرين وتبيان مسألة المعاد (الآيات ٣٦ - ٤٤).

فضلُ سورة المعارج، وثواب تلاوتها

* عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «**مَنْ قَرَأَ (سَأَلَ سَائِلٌ) أَعطَاهُ اللهُ ثوابَ الذين هم لأَماناتِهم وعهدِهم راعون، والذين هم على صَلَواتهم يُحافظون**».

* وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**مَن أدمنَ قراءة (سأل سائل) لم يسألْه اللهُ يومَ القيامة عن ذنبٍ عَمِلَه، وأسكنَه جنّته مع محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم**».

تفسيرُ آياتٍ من سورة المعارج

قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ..﴾ الآية:٤.

الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام: «..**وإنَّ لله تبارك وتعالى بِقاعاً في سَماواتِه، فمَن عُرِجَ بِهِ إلى بقعةٍ منها فَقَد عُرِجَ بِهِ إليه..**».

قوله تعالى: ﴿.. فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ الآية:٤.

* قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله: ما أطول هذا اليوم؟

فقال صلّى الله عليه وآله: «والّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّه لَيَخفّ على المُؤمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عليهِ مِنْ صَلاةٍ مَكتُوبَةٍ يُصَلِّيها فِي الدُّنْيا».

* الإمام الصادق عليه السلام: «لو وَلِي الحساب غيرُ الله لَمَكَثُوا فِيهِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِن قَبْلِ أَنْ يَفرغُوا، واللهُ سُبْحَانَهُ يَفرغُ مِن ذَلكَ فِي سَاعة».

* وعنه عليه السلام: «أَلَا فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُم قَبْلَ أَنْ تُحاسَبُوا، فَإِنَّ فِي القِيامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفاً، كُلّ مَوْقِفٍ مِثل أَلْف سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون»، ثمّ تلا الآية..

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ الآيتان:٢٢-٢٣.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «الَّذينَ يَقْضُونَ مَا فَاتَهُم مِنَ اللَّيْلِ بِالنَّهارِ، ومَا فَاتَهُم مِنَ النَّهارِ بِاللَّيْلِ، لَا تُقْضَى النَّافِلَةِ فِي وَقْتِ فَريضَة، ابْدَأْ بِالفَريضَة ثُمَّ صَلِّ ما بَدا لَكَ».

* الإمام الباقر عليه السلام في معنى الآية: «إذا فرضَ على نفسِه شيئاً من النوافل دامَ عليه».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الآيتان:٢٤-٢٥.

* الإمام زين العابدين عليه السلام: «الحقُّ المَعْلُومُ الشَّيْء يُخْرِجُهُ الرَّجُلُ مِنْ مَالِهِ لَيْسَ مِنْ الزَّكَاةِ وَلَا مِنْ الصَّدَقَةِ المَفْرُوضَتَين، إِنْ شاءَ أَكْثَرَ وإِنْ شَاءَ أَقَلّ عَلَى قَدرِ مَا يَمْلِكُ، يَصِلُ بِهِ رَحِماً، ويُقَوِّي بِهِ ضَعِيفاً، ويَحملُ بِهِ كَلّاً، أَوْ يَصِلُ بِهِ أَخاً لَهُ فِي الله، أَوْ لِنَائِبَةٍ تَنُوبُهُ».

* الإمام الصادق عليه السلام: «..الحَقُّ المَعْلُومُ غَيْرُ الزَّكَاة، وَهُوَ شَيْءٌ يَفْرِضُهُ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَالِهِ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْرِضَهُ عَلَى قَدرِ طاقَتِهِ وَسِعَةِ مَالِهِ، فَيُؤَدِّي الَّذي فَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، وإِنْ شَاءَ فِي كُلِّ شَهْرٍ».

* وعنه عليه السلام: «هُوَ الرَّجُل يُؤتِيه اللهُ الثَّرْوَةَ مِنَ المَالِ، فَيُخرِج مِنْهُ الأَلْفَ والألفَيْن والثَّلاثَة الآلاف وَالأقلّ والأَكثَر، فَيَصِل بِهِ رَحِمَهُ، ويَحْمل بِهِ الكَلَّ عَن قَوْمِه».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ الآية:٢٦.

الإمام الباقر عليه السلام: «(الَّذينَ يُصَدِّقونَ) بِخُروجِ القَائِمِ عليه السَّلام».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الآية:٣٤.

* الإمام الباقر عليه السلام: «هذِهِ الفَريضَة، مَنْ صَلَّاهَا لِوَقْتِها عَارِفاً بِحَقِّها لَا يُؤْثِر علَيها غَيْرَها كَتَبَ اللهُ لَهُ بَراءَة لَا يُعذِّبُه، ومَنْ صَلَّاها لِغَيْرِ وَقْتِها مُؤْثِراً عليهَا غَيْرَهَا، فَإِنَّ ذلكَ إِلَيْه؛ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّب».

* الإمام الكاظم عليه السلام: «أُولئِكَ أَصْحَابُ الخَمْسِين صَلاةً مِن شِيعَتِنا».

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ..﴾ الآية:٤٠.

أمير المؤمنين عليه السلام: «لَها ثلاثمائة وَسُتّون مشرقاً، وثلاثمائة وسُتّون مَغْرباً، فيَومهَا الّذي تُشْرِقُ فِيه لَا تَعُودُ فيهِ إلّا مِن قابِل».

عن الإمام زين العابدين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: «الحقُّ المَعْلُومُ الشَّيْء يُخْرِجُهُ الرَّجُلُ مِنْ مَالِهِ لَيْسَ مِنْ الزَّكَاةِ وَلَا مِنْ الصَّدَقَةِ المَفْرُوضَتَين..».

﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ..﴾

العرش مقامُ العلم والتدبير الإلهيَّين

العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله

«للناس في معنى العَرش بل في معنى قوله تعالى: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ..﴾ الأعراف:٥٤، والآيات التي في هذا المساق، مسالكُ مختلفة؛ فأكثر السلف على أنّها وما يشاكلها من الآيات من المتشابهات التي يجب أن يرجع علمها إلى الله سبحانه، وهؤلاء يرون البحث عن الحقائق الدينية والتطلّع إلى ما وراء ظواهر الكتاب والسنّة بدعة، والعقل يخطّئهم في ذلك، والكتاب والسنّة لا يصدّقانهم. فآيات الكتاب تحرّض كلّ التحريض على التدبّر في آيات الله وبذل الجهد في تكميل معرفة الله ومعرفة آياته بالتذكّر والتفكّر والنظر فيها والاحتجاج بالحُجج العقلية، ومتفرّقات السنّة المتواترة معنًى توافقها، ولا معنى للأمر بالمقدّمة والنهي عن النتيجة».

هذه المقالة نموذج للتدبّر - الذي أشار إليه العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي في الفقرة المتقدّمة - في الآيات المباركة للتوصّل إلى معنى «العرش» وسائر خصوصياته، مستلّة من الجزء الثامن من موسوعته (الميزان في تفسير القرآن) ببعض التصرّف والاختصار.

اختلف الباحثون في معنى العرش على أقوال:

١) حمْلُ الكلمة على ظاهر معناها، فالعرش عندهم مخلوقٌ كهيئة السرير له قوائم، وهو موضوعٌ على السماء السابعة، والله - تعالى عمّا يقول الظالمون - مُستوٍ عليه كاستواء الملوك منّا على عروشهم، وأكثر هؤلاء على أنّ العرش والكرسيّ شيء واحد، وهو الذي وصفناه.

وهؤلاء هم المشبِّهة من المسلمين، والكتابُ والسنّة والعقل تخاصمُهم في ذلك، وتنزّه ربّ العالمين أن يماثل شيئاً من خلقه، ويشبهه في ذاتٍ أو صفةٍ أو فعلٍ تعالى وتقدّس.

٢) أنّ العرش هو الفلَك التاسع المحيط بالعالم الجسماني والمحدّد للجهات، والأطلس الخالي من الكواكب، والراسم بحركته اليومية للزمان، وفي جوفه مماسّاً به الكرسي، وهو الفلك الثامن الذي فيه الثوابت، وفي جوفه الأفلاك السبعة الكلّية التي هي أفلاك السيّارات السبع: زُحل والمشتري والمرّيخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر بالترتيب، محيطاً بعضها ببعض.

وهذه هي التي يفرضها علمُ الهيئة على مسلك «بطليموس» لتنظيم الحركات العُلوية الظاهرة للحسّ، طبّقوا عليها ما يذكره القرآن من السماوات السبع والكرسي والعرش، فما وجدوا من أحكامها المذكورة في الهيئة والطبيعيات لا يخالف الظواهر قبلوه، وما وجدوه يخالف الظواهر الموجودة في الكتاب ردّوه. "..."

والظواهر من القرآن والحديث تُثبت أنّ وراء العرش حجُباً وسرادقات، وأنّ له قوائم، وأنّ له حمَلة، وأنّ الله سيطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب، وأنّ في السماء سكَنةً من الملائكة ليس فيها موضع إهاب إلّا وفيه ملَك راكع أو ساجد، يلِجونه وينزلون منه ويصعدون إليه، وأنّ للسماء أبواباً، وأنّ الجنة فيها عند سدرة المنتهى التي ينتهي إليها أعمال العباد، إلى غير ذلك ممّا ينافي بظاهره ما افترضه علماء الهيئة والطبيعيات سابقاً. والقائلون منّا إنّ السماوات والكرسيّ والعرش هي ما افترضوه من الأفلاك التسعة الكليّة يدفعون ذلك كلّه بمخالفة الظواهر "...".

٣) أن لا مصداق للعرش خارجاً، وإنّما قوله تعالى: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ..﴾ الأعراف:٥٤، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ طه:٥، كناية عن استيلائه تعالى على عالَم الخلق، وكثيراً ما يطلق الاستواء على الشيء على الاستيلاء عليه.

أو أنّ الاستواء على العرش معناه الشروعُ في تدبير الأمور، كما أنّ الملوك إذا أرادوا الشروع في إدارة أمور مملكتهم استوَوا على عروشهم وجلسوا عليها. "..."

وفيه: أنّ كون قوله: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ..﴾ جارياً مجرى الكناية بحسب اللفظ - وإن كان حقّاً - لكنّه لا ينافي أن يكون هناك حقيقةٌ موجودة تعتمد عليها هذه العناية اللفظية. والسلطةُ، والاستيلاء، والمُلك، والإمارة، والسلطنة، والرئاسة، والولاية، والسيادة، وجميعُ ما يجري هذا المجرى فينا، أمورٌ وضعيّة اعتبارية ليس في الخارج منها إلا آثارها، والظواهر الدينية تشابه من حيث البيان ما عندنا من بيانات أمورنا وشؤوننا الاعتبارية، لكنّ الله سبحانه يبيّن لنا أنّ هذه البيانات وراءها حقائق واقعية، وجهات خارجية ليست بوهميّة اعتبارية.

فمعنى المُلك، والسلطنة، والإحاطة، والولاية، وغيرها فيه سبحانه، هو المعنى الذي نفهمه من كلّ هذه الألفاظ عندنا، لكنّ المصاديق غيرُ المصاديق، فلها هناك مصاديق حقيقية خارجية على ما يليق بساحة قدسه تعالى، وأمّا ما عندنا من مصاديق هذه المفاهيم فهي أوصاف ذهنية ادّعائية، وجهاتٌ وضعية اعتبارية لا تتعدّى الوهم، وإنّما وضعناها وأخذنا بها للحصول على آثار حقيقية هي آثارها بحسب الدعوى "...".

الاستواء عينُ القيوميّة

وبالجملة: قوله تعالى: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ..﴾ في عين أنّه تمثيل يبيّن به أنّ له إحاطة تدبيريّة لملكه، يدلّ على أنّ هناك مرحلة حقيقية هي المقام الذي يجتمع فيه جميع أزِمّة الأمور على كثرتها واختلافها، ويدلّ عليه آيات أُخَر تذكر العرش وحده وينسبه إليه تعالى، كقوله تعالى: ﴿..وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ التوبة:١٢٩، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ..﴾ المؤمن:٧، وقوله: ﴿..وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ الحاقة:١٧، وقوله: ﴿..حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ..﴾ الزمر:٧٥.

فالآيات - كما ترى - تدلّ بظاهرها على أنّ العرش حقيقة من الحقائق العينية وأمر من الأمور الخارجية، ولذلك نقول: إنّ للعرش في قوله: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ..﴾ مصداقاً خارجياً، ولم يوضع في الكلام لمجرّد تتميم المَثل كما نقوله في أمثال كثيرة مضروبة في القرآن. "..."

وهذا العرش الذي يستفاد من مثل قوله: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ..﴾ أنّه مقام في الوجود يجتمع فيه أزمّة الحوادث والأمور كما يجتمع أزمّة المملكة في عرش المِلك، يدلّ على تحقّق هذه الصفة له قوله تعالى: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ..﴾ يونس:٣، ففسّر الاستواء على العرش بتدبير الأمر منه، وعقّبه بقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾، والآية لمّا كانت في مقام وصف الربوبية والتدبير التكويني، كان المراد بالشفاعة الشفاعةَ في أمر التكوين، وهو السببية التي توجد في الأسباب التكوينية التي هي وسائط متخلّلة بين الحوادث والكائنات وبينه تعالى، كالنار المتخلّلة بينه وبين الحرارة التي يخلقها، والحرارة المتخلّلة بينه وبين التخلخل أو ذوبان الأجسام، فنفيُ السببية عن كلّ شيء إلّا من بعد إذنه لإفادة توحيد الربوبية التي يفيده صدر الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ..﴾ يونس:٣.

قوله تعالى: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ..﴾، في مقام وصف التدبير التكويني، والمراد بالشفاعة هنا الشفاعة في أمر التكوين، وهي السببية التي توجد في الأسباب التكوينية التي هي وسائط متخلّلة بين الحوادث والكائنات وبينه تعالى

وفي قوله: ﴿..مَامِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ..﴾ يونس:٣، بيان حقيقة أخرى وهي رجوع التخلّف في التدبير إلى التدبير بعينه بواسطة الإذن، فإنّ الشفيع إنّما يتوسّط بين المشفوع له المحكوم بحكم المشفوع عنده، ليغيّر بالشفاعة مجرى حكم سيجري لولا الشفاعة، فالشمس المضيئة بالمواجهة مثلاً شفيعة متوسّطة بين الله سبحانه وبين الأرض لاستنارتها بالنور، ولولا ذلك لكان مقتضى تقدير الأسباب العامّة ونظمها أن تحيط بها الظلمة، ثمّ الحائل من سقف أو أيّ حجاب آخر شفيع آخر يسأله تعالى أن لا يقع نور الشمس على الأرض باستقامة وهكذا. "..."

ويقرب من آية سورة (يونس) في الدلالة على شمول التدبير ونفي مدبّر غيره تعالى قوله: ﴿.. ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ السجدة:٤، ويقرب من قوله: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ..﴾ يونس:٣ - في الإشارة إلى كون العرش مقاماً تنتشئ فيه التدابير العامّة وتصدر عنه الأوامر التكوينية - قولُه تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ البروج:١٥-١٦، وهو ظاهر.

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ..﴾ الزمر:٧٥، فإنّ الملائكة هم الوسائط الحاملون لحكمه والمُجرون لأمره، العاملون بتدبيره، فليكونوا حافّين حول عرشه.

وكذا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾ المؤمن:٧، وفي الآية مضافاً إلى ذكر احتفافهم بالعرش شيءٌ آخر، وهو أنّ هناك حمَلة يحملون العرش، وهم لا محالة أشخاص يقوم بهم هذا المقام الرفيع والخلق العظيم الذي هو مركز التدابير الإلهية ومصدرها، ويؤيّد ذلك ما في آية أخرى وهي قوله: ﴿..وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ الحاقة:١٧.

وإذ كان العرش هو المقام الذي يرجع إليه جميع أزمّة التدابير الإلهية والأحكام الربوبية الجارية في العالم كما سمعت، كان فيه صور جميع الوقائع بنحو الإجمال حاضرة عند الله معلومة له، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿..ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ الحديد:٤، فقوله: ﴿..يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ..﴾ إلخ، يجري مجرى التفسير للاستواء على العرش، فالعرش مقام العلم كما أنّه مقام التدبير العام الذي يسع كلّ شيء، وكلّ شيء في جوفه.

ولذلك هو محفوظٌ بعد رجوع الخلق إليه تعالى لفصل القضاء كما في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ..﴾ وموجودٌ مع هذا العالم المشهود كما يدلّ عليه آيات خلق السماوات والأرض، وموجود قبل هذه الخلقة كما يدل عليه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ..﴾ هود:٧.

العرش مقامُ العلم، كما أنّه مقام التدبير العام الذي يسَعُ كلّ شيء، وفيه صوَر جميع الوقائع حاضرةً عند الله، معلومةً له تعالى

العرشُ محفوظٌ بعد رجوع الخلق إليه تعالى لفصل القضاء، وموجودٌ مع هذا العالم المشهود، وموجودٌ قبل هذه الخِلقة

مناسبات شهر ربيع الآخر

إعداد: «شعائر»

٢ ربيع الآخر/ ٢٠ هجريّة

وفاة الصحابيّ بلال الحبشيّ مؤذّن النبيّ صلّى الله عليه وآله.

٥ ربيع الآخر/ ٦٥ هجريّة

خروجُ التوّابين من الكوفة بقيادة سليمان بن صُرَد الخزاعي.

٨ ربيع الآخر/ ١١ هجريّة

شهادة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام على رواية أنّها مكثت أربعين يوماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٠ ربيع الآخر/ ٢٣٢ هجريّة

مولد الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، وعلى قولٍ في اليوم الثامن منه.

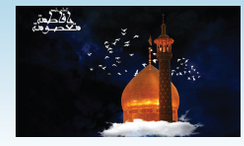

١٠ ربيع الآخر/ ٢٠١ هجريّة

وفاة السّيّدة فاطمة المعصومة، بنت الإمام الكاظم عليه السّلام في مدينة قمّ.

١٤ ربيع الآخر/ ٦٦ هجريّة

خروجُ المختار الثّقَفيّ، وسيطرته على الكوفة واقتصاصه من قتلة الإمام الحسين عليه السلام.

٢٠ ربيع الآخر/ ٥ هجريّة

رجوعُ النّبيّ صلّى الله عليه وآله منتصراً من دُومة الجَندل.

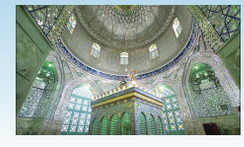

٢٢ ربيع الآخر/ ٢٩٦ هجريّة

وفاة السّيّد موسى المبرقع ابن الإمام الجواد عليه السّلام بقُمّ.

تعريف بأبرز مناسبات ربيع الآخر

تقدّم «شعائر» مقتطفات من أمّهات المصادر ترتبط بأبرز مناسبات شهر ربيع الثاني، كمَدخل إلى حُسن التَّفاعل مع أيّامه، مع الحرص على عناية خاصّة بالمناسبات المُرتبطة بالمعصومين عليهم السّلام.

اليوم الثّامن: شهادة الصِّدّيقة الكبرى عليها السّلام (على رواية)

بناءً على الرواية الذاهبة إلى أنّ الصدّيقة الكبرى السيّدة الزهراء عليها السلام، لبّت نداء ربّها تعالى بعد أربعين يوماً على رحلة أبيها الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، تكون شهادتها في الثامن من ربيع الثاني. وذهب ابن شهر آشوب في (المناقب)، والقرماني في (أخبار الدول) إلى أنّ شهادة أمّ أبيها، الزهراء البتول عليها السلام، كانت في اليوم الثالث عشر من ربيع الثاني.

اليوم العاشر: مولدُ الإمام الحسن العسكريّ عليه السّلام

«عن جعفر بن الشريف الجُرجاني: حَجَجْتُ سَنة، فَدَخلتُ على أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السَّلام بـ(سُرَّ مَنْ رَأى)، وقَد كانَ أصحابُنَا حَمَلُوا مَعِي شَيْئاً مِنَ المَالِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ إلى مَنْ أَدفعهُ؟

فَقَالَ – قَبْلَ أَنْ قُلْتُ لَهُ ذَلِك: **إِدْفَعْ ما مَعَكَ إلى المُبارَك خادِمِي.**

قال: ففَعلتُ وخَرجتُ وقُلتُ: إنَّ شِيعَتَكَ بِجُرجان يَقْرَأُونَ عَلَيْكَ السَّلام.

قال: **أَوَ لَسْتَ مُنْصَرِفاً بَعْدَ فَراغكَ مِنَ الحَجِّ؟** قلتُ: بَلَى.

قال: **فَإِنَّكَ تَصِيرُ إلى جُرْجان مِنْ يَوْمِكَ هَذَا إلى مَائة وَسَبْعِينَ يَوماً، وَتَدْخُلُها يَوْمَ الجُمُعةِ لِثلاثِ لَيالٍ يَمْضَينَ مِنْ شَهْرِ رَبيع الآخِرِ فِي أَوَّلِ النَّهارِ، فَأَعْلِمْهُم أَنِّي أُوَافِيهِم فِي ذَلِكَ اليَومِ آخِرَ النَّهارِ، فَامْضِ رَاشِداً، فَإِنَّ اللهَ سَيُسَلِّمكَ وَيُسَلِّم ما مَعَكَ فتقدم عَلى أَهْلِكَ وَوُلْدِكَ، وَيُولَدُ لِوَلَدِكَ الشَّرِيفِ ابْنٌ، فَسَمِّهِ الصَّلْتَ بْنَ الشَّرِيفِ بنِ جَعفَر بنِ الشَّرِيف، وَسَيُبلِّغه الله، ويَكُون مِن أَوْلِيائِنا.**

فقلتُ: يا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، إنَّ إبراهيمَ بن إسمَاعِيل الجرجانيّ وُهُوَ مِنْ شِيعَتِكَ، كَثيرُ المَعْرُوفِ إلى أَوْلِيَائِكَ، يُخْرِجُ إِلَيْهِم فِي السَّنَةِ مِنْ مَالِهِ أَكْثَرَ مِن مَائةِ أَلْفِ درهَمٍ، وَهُوَ أَحَدُ المُتَقَلِّبِينَ فِي نِعَمِ اللهِ بِجرجان.

فقالَ: **شَكَرَ اللهُ لِأَبِي إسحَاق إبراهيم بن إسماعيل صَنِيعَتَهُ إلى شِيعَتِنَا، وَغَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَرَزَقَهُ ذَكَراً سَوِيّاً قائِلاً بِالحَقِّ، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ الحَسَنُ بْنُ عليّ: سَمِّ ابْنَكَ أَحْمَد.**

فانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ، وَحَجَجْتُ، وَسَلَّمَنِي اللهُ حَتَّى وافَيْتُ جرجان فِي يَومِ الجُمُعَة فِي أَوَّلِ النَّهَارِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الآخِرِ، عَلى مَا ذَكَرَ عَلَيهِ السَّلام، وَجَاءَنِي أَصْحَابُنَا يُهَنِّئُونِي فَأَعْلَمْتُهُم أَنَّ الإمَامَ وَعَدَنِي أَنْ يُوافِيَكُم فِي آخِرِ هَذَا اليَوم، فَتَأَهَّبُوا لِمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَأَعِدُّوا مَسَائِلَكُم وحَوائِجَكُم كلّها.

فَلَمَّا صَلُّوا الظُّهْرَ والعَصْرَ اجْتَمَعُوا كُلُّهُم فِي دَارِي، فَوَاللهِ مَا شَعَرْنَا إِلَّا وَقَد وَافَانَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَلَيهِ السَّلام، فَدَخَلَ إلَيْنَا وَنَحْنُ مُجْتَمِعون، فَسَلَّمَ هُوَ أَوّلاً عَلَينَا، فَاسْتَقْبَلْنَاهُ وقَبَّلْنَا يَدَهُ، ثُمَّ قال: **إِنِّي كُنْتُ وَعَدْتُ جَعْفَرَ بْنَ الشّريف أَنْ أُوَافِيَكُم فِي آخِرِ هذا اليَوم، فَصَلَّيْتُ الظُّهْرَ والعَصْر بِسُرَّ مَنْ رَأَى، وَصِرْتُ إِلَيْكُم لِأُجَدِّدَ بِكُم عَهْداً، وَهَا أَنَا جِئْتُكُم الآن، فَاجْمَعُوا مَسَائِلَكُم وَحَوائِجَكُم كُلَّها.**

فَأَوَّلُ مَنِ انْتُدِبَ لِمُسائَلَتِهِ النّضر بن جابر، قال: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، إِنَّ ابْنِي جَابِراً أُصِيبَ بِبَصَرِهِ مُنْذُ أَشْهُرٍ، فادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ عَيْنَيْه. قال: **فَهَاته**.

فَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى عَيْنَيْهِ فَعَادَ بَصِيراً، ثُمَّ تَقَدَّمَ رَجُلٌ فَرَجُلٍ يَسْأَلُونَهُ حَوائِجَهُم، وأَجَابَهُم إِلى كُلِّ مَا سَأَلُوه حَتَّى قَضَى حَوَائِجَ الجَمِيع، وَدَعَا لَهُم بِخَيْرٍ، وانْصَرَفَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِك».

(الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي)

اليوم العاشر: وفاة السّيّدة المعصومة عليها السّلام

«في هذا اليوم سنة ٢٠١ للهجرة على المشهور رحلت السيّدة العابدة الزاهدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم وأخت الإمام الرضا عليهم السلام، الملقّبة بالمعصومة. وقد فارقت الدنيا مغمومةً مكسورةً لفراق أخيها الرضا عليهما السلام، بعد ١٧ يوماً من نزولها قمّ، فعمّ المدينة العزاء، ثمّ غُسِّلت وكُفّنت وشُيِّعت إلى بستان موسى بن خزرج، وهو مكان ضريحها الفعلي.

ولمّا وُضع نعشها عليها السلام، أقبل فارسان ملثّمان من خارج المدينة، فصلّيا عليها ودفناها في سردابٍ أُعدّ لها، ومضيا دون أن يعرفهما أحد.

ووقف موسى بن خزرج رحمه الله، ذلك البستان عليها، وأبان مرقدها، وسقّفه بالبواري والحصر، حتّى بنت السيّدة زينب عليها السلام، بنت الإمام الجواد عليه السلام، قبّة على القبر الشريف، ثمّ دُفن في ذلك المكان عدّة من بنات الأئمّة عليهم السلام، ودُفنت إلى جنبها أمّ محمّد، ثمّ دُفن إلى جنب أمّ محمّد أختها ميمونة [بنات الإمام الجواد عليه السلام]، وبُني على مرقدهما قبّة، والتصقت القبّتان على مراقد المعصومة، وأمّ محمّد، وميمونة عليهنّ السلام».

(تقويم الشيعة، النيشابوري)

اليوم الرابع عشر: ثورة المختار الثقفي

«في هذا اليوم سنة ٦٦ للهجرة، ثار المختار بن أبي عبيدة الثقفي منادياً (**يَا لثاراتِ الحُسَين عليه السّلام**) في الكوفة، وبذلك أدخل السرور على أهل البيت عليهم السلام. وُلد المختار في الطائف في السنة الأولى للهجرة، واستشهد سنة ٦٧ للهجرة على يد مصعب بن الزبير، كنيته: أبو إسحاق.

أبوه أبو عبيدة من كبار الصحابة، وقد استشهد في فتح فارس، واستشهد بعده ولداه الحكم والجبير. وفي حكومته التي استمرّت ثمانية عشر شهراً، قتل المختار ثمانية عشر ألفاً من قتلة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن أولئك الذين قتلهم أنصاره وإبراهيم بن مالك الأشتر خارج الكوفة وفي شاطئ نهر خازر».

(بحار الأنوار، العلامة المجلسي)

اليوم الثاني والعشرون: وفاة السيّد موسى المبرقع عليه السلام

في هذا اليوم ليلة الأربعاء توفّي السيّد موسى المبرقع عليه السلام، وهو ابن الإمام محمّد الجواد عليه السلام، في قمّ سنة ٢٩٦ للهجرة. وقبره في تُشِهِل أختران [فارسيّة تعني «النجوم الأربعين»] في قمّ، في شارع آذر مشهور.

اسمه موسى وكنيته أبو جعفر، ولقبه «المبرقَع» جاء من استعماله البرقع لجماله الفائق. وهو أوّل السادة الرضويّين وروداً على قمّ، وذلك سنة ٢٥٦ للهجرة.

وقد جاءت أخواته زينب، وأمّ محمّد، وميمونة، عليهنّ السلام، إلى قمّ ونزلن عنده، فلمّا توفّين دفنَّ عند فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام. وعند وفاته صلّى عليه أمير قمّ، عبّاس بن عمرو الغنوي، ودُفن في مرقده المعروف الآن فيها، وكان قبل ذلك دار محمّد ابن حسن بن أبي خالد الأشعري.

(تقويم الشيعة، النيشابوري)

خصالُ العاقل

إعداد: «شعائر»

في اللغة، أنّ العقلَ هو الذي يعقلُ صاحبَه ويحبسُه عن التورّط في المهالك، وبه يمتاز الإنسان عن سائر المخلوقات. فالعاقلُ، إذاً، مَن يتدارك سوءَ الخاتمة بالتنبّه وحُسن التدبير.

ما يلي، مجموعة من الروايات الشريفة في صفات العاقل ومذاهبه في الحياة، يليها نَصٌّ من (الوافي) للفيض الكاشاني في شرح تعريف العقل المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام.

♦ رسول الله صلّى الله عليه وآله:

* «صِفَةُ العاقِلِ أن يَحلُمَ عَمَّن جَهِلَ عَلَيهِ، ويَتَجاوَزَ عَمَّن ظَلَمَهُ، ويَتَواضَعَ لِمَن هُوَ دونَهُ، ويُسابِقَ مَن فَوقَهُ في طَلَبِ البِرِّ، وإذا أرادَ أن يَتَكَلَّمَ تَدَبَّرَ؛ فَإنْ كانَ خَيرًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، وإنْ كانَ شَرًّا سَكَتَ فَسَلِمَ، وإذا عَرَضَت لَهُ فِتنَةٌ استَعصَمَ بِاللهِ وأمسَكَ يَدَهُ ولِسانَهُ، وإذا رَأى فَضيلَةً انتَهَزَ بها، لا يُفارِقُهُ الحَياءُ، ولا يَبدو مِنهُ الحِرصُ، فَتِلكَ عَشرُ خِصالٍ يُعرَفُ بِهَا العاقِلُ».

* «العاقِلُ يَستَريحُ في وَحدَتِهِ إلى عَقلِهِ، وَالجاهِلُ يَتَوَحَّشُ مِن نَفسِهِ؛ لأنَّ صَديقَ كُلِّ إنسانٍ عَقلُهُ، وعَدُوَّهُ جَهلُهُ».

♦ أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السّلام:

* «العاقِلُ إذا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أتبَعَها حِكمَةً ومَثَلاً، وَالأَحمَقُ إذا تَكَلَّمَ بِكَلِمَة أتبَعَها حَلفًا».

* «..العاقِلُ الدّينُ شَريعَتُهُ، وَالحِلمُ طَبيعَتُهُ، وَالرَّأيُ سَجِيَّتُهُ، إن سُئِلَ أجابَ، وإن تَكَلَّمَ أصابَ، وإن سَمِعَ وَعى، وإن حَدَّثَ صَدَقَ، وإنِ اطمَأَنَّ إلَيهِ أحَدٌ وَفَى..»

* «العاقِلُ مَنِ اتَّهَمَ رَأيَهُ ولَم يَثِق بِكُلِّ ما تُسَوِّلُ لَهُ نَفسُهُ».

* «العاقِلُ لا يَفرُطُ بِهِ عُنفٌ، ولا يَقعُدُ بِهِ ضَعفٌ».

* «نِصفُ العاقِلِ احتِمالٌ، ونِصفُهُ تَغافُلٌ».

♦ الإمام الصادق عليه السّلام:

* «العاقِلُ مَن كانَ ذَلولاً عِندَ إجابَةِ الحَقِّ، مُنصِفًا بِقَولِهِ، جَموحًا عِندَ الباطِلِ، خَصيمًا (خَصْمَاً) بِقَولِهِ، يَترُكُ دُنياهُ ولا يَترُكُ دينَهُ».

* «العاقِلُ لا يُحَدِّثُ بِما يُنكِرُهُ العُقولُ، ولا يَتَعَرَّضُ لِلتُّهمَةِ، ولا يَدَعُ مُداراةَ مَنِ ابتُلِيَ بِهِ».

♦ الإمام الكاظم عليه السّلام:

* «إنَّ العاقِلَ لا يُحَدِّثُ مَن يَخافُ تَكذيبَهُ، ولا يَسأَلُ مَن يَخافُ مَنعَهُ، ولا يَعِدُ ما لا يَقدِرُ عَلَيهِ، ولا يَرجو ما يُعَنِّفُ بِرَجائِهِ، ولا يُقدِمُ عَلى ما يَخافُ فَوتَهُ بِالعَجزِ عَنهُ».

* «إنَّ العاقِلَ رَضِيَ بِالدّونِ مِنَ الدُّنيا مَعَ الحِكمَةِ، ولَم يَرضَ بِالدّونِ مِنَ الحِكمَةِ مَعَ الدُّنيا، فَلِذلِكَ رَبِحَت تِجارَتُهُم».

* «... لِكُلِّ شَيءٍ دَليلٌ، ودَليلُ العاقِلِ التَّفَكُّرُ، ودَليلُ التَّفَكُّرِ الصَّمتُ. ولِكُلِّ شَيءٍ مَطِيَّةٌ، ومَطِيَّةُ العاقِلِ التَّواضُعُ، وكَفى بِكَ جَهلاً أن تَركَبَ ما نُهيتَ عَنهُ».

قال العلماء

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن صفة العقل، فقال: «**مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ واكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَانُ**»، فقيل له عليه السلام: فَالَّذِي كَانَ فِي مُعَاوِيَةَ؟ فَقَالَ: «**تِلْكَ النَّكْرَاءُ، تِلْكَ الشَّيْطَنَةُ وهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ ولَيْسَتْ بِالْعَقْلِ**».

بيان: قوله عليه السلام: «**مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ واكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَانُ**»: هذا تفسيرٌ للعقل بمعناه الثاني من مَعنيَيه... وهو العقلُ المكتسب، ثمّ إنّ جعْلنا العبادة عبارة عن العبادة الناشئة عن المعرفة، المترتّبة عليها كانت إشارة إلى كمال القوّة النظريّة، واكتساب الجنان إلى كمال القوّة العمليّة.

وقوله عليه السلام: «**تِلْكَ النَّكْرَاءُ..**» هي الفِطنة المجاوزة عن حدّ الاعتدال إلى الإفراط، الباعثة لصاحبها على المكر والحيل والاستبداد بالرأي، وطلب الفضول في الدنيا، ويُسمّى بـ(الجَربَزَة) و(الدهاء). يقال: ما أشدّ نُكره بالضمّ والفتح.

(الفيض الكاشاني، الوافي)

صلاةُ الاستيجار

الإمام الخميني قدس سره

مجموعة من أحكام صلاة الاستئجار، وهي التي يصلّيها شخصٌ عن الميّت بأَجر، لإفراغ ذمّته ممّا وجب عليه منها في حياته، فمات ولم يؤدِّها في وقتها، ولم يقضِها بعد الوقت، نوردها نقلاً عن (تحرير الوسيلة) للإمام الخمينيّ قدّس سرّه.

يجوز الاستيجار للنيابة عن الأموات في قضاء الصلوات كسائر العبادات كما تجوز النيابة عنهم تبرّعاً، ويقصد النائب بفعله - أجيراً كان أو متبرّعاً - النيابة والبدليّة عن فعل المَنوب عنه، وتفرغ ذمّته، ويتقرّب به ويُثاب عليه، ويعتبر فيه قصد تقرّب المنوب عنه لا تقرّب نفسه، ولا يحصل له بذلك تقرّب إلّا إنْ قصد في تحصيل هذا التقرّب للمنوب عنه الإحسان إليه لله تعالى، فيحصل له القرب أيضاً كالمتبرّع لو كان قصده ذلك، وأمّا وصول الثواب إلى الأجير كما يظهر من بعض الأخبار فهو لمحض التفضّل، ويجب تعيين الميت المنوب عنه في نيّته ولو بالإجمال كصاحب المال ونحوه.

مسألة: يجب على مَن عليه واجب من الصلاة والصيام الإيصاء باستيجاره إلّا مَن له وليّ يجب عليه القضاء عنه ويطمئنّ بإتيانه، ويجب على الوصيّ لو أوصى إخراجها من الثلث ومع إجازة الورثة من الأصل، وهذا بخلاف الحجّ والواجبات المالية كالزكاة والخمس والمَظالم والكفّارات ونحوها، فإنّها تُخرج من أصل المال أوصى بها أو لم يوصِ، إلّا إذا أوصى بأن تُخرج من الثلث فتُخرج منه، فإن لم يفِ بها يُخرج الزائد من الأصل، وإن أوصى بأن يُقضى عنه الصلاة والصوم ولم يكن له تركة لا يجب على الوصي المباشرة أو الاستيجار من ماله، والأحوط للولد ذكراً كان أو أنثى المباشرة لو أوصى إليه بها لو لم تكن حرجاً عليه، نعم يجب على وليّه قضاء ما فات منه إما بالمباشرة أو الاستيجار من ماله، وإن لم يوص به كما مرّ. «..»

مسألة: يشترط في الأجير أن يكون عارفاً بأجزاء الصلاة، وشرائطها، ومنافياتها، وأحكام الخلل، وغيرها عن اجتهاد أو تقليد صحيح "..".

مسألة: لا يشترط عدالة الأجير، بل يكفي كونه أميناً بحيث يطمأنّ بإتيانه على الوجه الصحيح "..".

مسألة: لا يجوز استيجار ذوي الأعذار كالعاجز عن القيام مع وجود غيره، بل لو تجدّد له العجز ينتظر زمان رفعه، وإن ضاق الوقت انفسخت الإجارة، بل الأحوط عدم جواز استيجار ذي الجبيرة ومَن كان تكليفه التيمّم.

مسألة: لو حصل للأجير سهوٌ أو شكّ يعمل بحكمه على طبق اجتهاده أو تقليده وإن خالف الميت، كما أنّه يجب عليه أن يأتي بالصلاة على مقتضى تكليفه واعتقاده من اجتهاد أو تقليد لو استؤجر على الإتيان بالعمل الصحيح، وإن عيّن له كيفية خاصّة يرى بطلانه بحسبها فالأحوط له عدم إجارة نفسه له.

مسألة: يجوز استيجار كلّ من الرجل والمرأة للآخر، وفي الجهر والإخفات والتستّر وشرائط اللباس يُراعى حال النائب لا المنوب عنه، فالرجل يجهر في الجهريّة ولا يستر ستر المرأة وإن كان نائباً عنها، والمرأة مخيّرة في الجهر والإخفات فيها، ويجب عليها الستر بالكيفيّة التي لها وإن كانت نائبة عن الرجل.

مسألة: ".." يجوز استيجار جماعة عن واحد في قضاء صلواته "..".

مسألة: لا يجوز للأجير أن يستأجر غيره للعمل بلا إذنٍ من المستأجر "..".

مسألة: لو عيّن للأجير وقتاً ومدّة ولم يأتِ بالعمل أو تمامه في تلك المدّة ليس له أن يأتي به بعدها إلّا بإذن من المستأجر "..".

مسألة: لو لم يعيّن كيفيّة العمل من حيث الإتيان بالمستحبّات ولم يكن انصراف يجب الإتيان بالمستحبّات المتعارفة كالقنوت وتكبيرة الركوع ونحو ذلك.

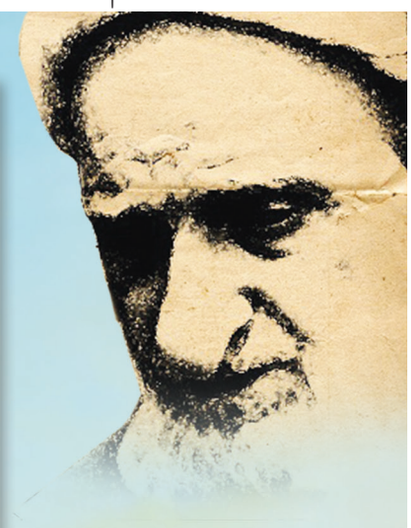

من توجيهات شيخ الفقهاء العارفين:

كونوا فاعلين، ولا تكونوا قوّالين

هذه المقتطفات من كتاب (النّاصح) الصادر حديثاً عن «مركز حفظ ونشر تراث الشيخ بهجت قدّس سرّه»، والذي يتضمّن توجيهات معنويّة مختصرَة ووصايا جرى اقتباسها، بعناية، من كلماته رضوان الله عليه.

مجالسة أهل الغفلة تُورث النفورَ من العبادات

من الواضحات أنّ **قراءة القرآن في كلّ يوم، والأدعية المناسبة للأوقات والأمكنة، في التعقيبات وغيرها، وكَثرة التردّد إلى المساجد والمشاهد المشرّفة، وزيارة العلماء والصلحاء ومجالستهم**، هي كلّها ممّا يرضاه الله تعالى ورسوله ﷺ ويجب أن يراقب الإنسان ازدياد البصيرة، والأنس بالعبادة والتلاوة، والزيارة، يوماً بعد يوم.

وعلى العكس، فإنّ كثرة **مجالسة أهل الغفلة** تزيد قسوة القلب وظلمته، وتسبّب الوحشة من العبادات والزيارات، ولهذا تتبدّل الأحوال الحسنة الحاصلة من العبادات والزيارات والتلاوات، بسبب مجالسة ضعفاء الإيمان إلى سوء الحال والنقصان؛ فمجالسة ضعيف الإيمان في غير الاضطرار ومن دون قصد هدايته - تسبّب فقدان الملَكات الحسنة، وتُكسب الأخلاق الفاسدة. «**جالِسوا مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللهَ رُؤْيَتُهُ، وَيَزيدُ في عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَيُرَغِّبُكُمْ في الآخِرَةِ عَمَلُهُ**».

لا نتيجة من دون العمل بالمعلوم

التعليم والتعلّم هما لأجل العمل المتناسب معهما، ولا استقلاليّة لهما، وقد قالوا لتوضيح هذا المطلب والحثّ عليه: «**كونوا دُعاةً إلى اللهِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ**»، تكلّموا من خلال العمل، وليكن استماعكم بالعمل.

يطلب البعض منّا الدعاء، فنقول لأيّ شيء؟ فيبيّنون العلّة، فنبيّن لهم الدواء، وبدلاً من أداء الشكر واستعمال الدواء، يقولون مرّة أخرى: أُدعوا لنا!

نحن لا نخرج عن عهدة التكليف، بل علينا تحصيل النتيجة من العمل، ومحال أن يكون العمل بلا نتيجة، وأن تحصل النتيجة من غير العمل. لا جعَلنا الله قوّالين، بل جعلنا فعّالين؛ فلا نقدم على حركة عمليّة من دون علم، ولا نتوقّف مع العلم.

ذِكرُ الله تَعرُّضٌ لألطافه تعالى

كلّنا نعلم أنّ رضى الله عزّ وجلّ مع أنّه تعالى غنيٌّ بالذات، ولا يحتاج إلى إيمان العباد ولوازم إيمانهم - هو في أن يكون العبد دوماً في مقام التقرّب إليه. ونعلم أيضاً أنّه، سبحانه، إنّما يحبّ إدامة ذِكره لأجل حاجة عباده إلى التقرّب من مبدأ الألطاف واستدامة هذا التقرّب. ونعلم أنّ ثمّة أعمالاً ستكون محلّ ابتلائنا في الدنيا، فعلينا أن نعلم أنّ ما كان منها محلّ رضى الله فسيُعدّ خدمة وطاعة له أيضاً.

إذاً، يجب أن يكون الهدف في **صرْف العمر كلّه في ذِكر الله وطاعته والعبادة**، إلى أن نصل إلى آخر درجات القُرب؛ وإلّا سنكون من النادمين إذا رأينا أنّ بعضهم قد وصل إلى المقامات العالية ونحن تخلّفنا عن تلك المقامات من دون عذر...

الملف

مكارمُ الأخلاق المحمديّة
جمالُ الأدب الإلهيّ وتمامه

اقرأ في الملف

صفاتُ النبيّ الخاتم بلسان أوصيائه عليهم السلام

رواية الشيخ الصدوق قدس سره

جامعُ الأدب الإلهيّ الأجمل

العلامة الطباطبائي رحمه الله

خصالُ النبيّ من كتاب (مكارم الأخلاق) للشيخ الطبرسي

إعداد: «شعائر»

مكارم الأخلاق من النبيّ الخاتم إلى الوليّ الخاتم

محمود إبراهيم

كان رسول الله صلى الله عليه وآله...

إستهلال

قضم الدنيا قضما، ولم يعرها طرفا

فتأسَّ بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله
فإنَّ فيه أسوةً لمن تأسَّى، وعزاءً لمن تعزَّى،
وأحبُّ العباد إلى الله المتأسِّي بنبيِّه، والمقتصُّ
لأثره، قضم الدُّنيا قضماً ولم يعرها طرفاً،
أهضم أهل الدُّنيا كشحاً، وأخمصهم من الدُّنيا
بطناً، عُرضت عليه الدُّنيا فأبى أن يقبلها،
وعلم أنَّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه،
وحقَّر شيئاً فحقَّره، وصغَّر شيئاً فصغَّره،
ولو لم يكن فينا إلا حبُّنا ما أبغض الله
ورسوله، وتعظيمنا ما صغَّر الله ورسوله،
لكفى به شقاقاً لله ومحادَّةً عن أمر الله...

"نهج البلاغة"

..دائمَ البِشر، سهلَ الخُلق، لَيِّنَ الجَانب

صفاتُ النبيّ الخاتم بلسان أوصيائه عليهم السلام

معرفة رسول الله ﷺ هي عين معرفة الدين الخاتم والمقصد الإلهي من النبوّة الخاتمة. لكنّ المعرفة الحقيقية بالنفس النبوية وصفاتها المقدّسة لم تأتِنا إلا بلسان الأئمّة الأطهار من أهل بيته عليهم السلام، ذلك بأنهم نفس الرسول والمبيّنون الصدّيقون للوحي وكتاب الله العزيز. هنا، شذرات ممّا ورد في الروايات الشريفة عن صفات النبيّ الأكرم ﷺ بلسان سبطه الإمام الحسين عن أمير المؤمنين عليهما السلام، جاء ضمن رواية طويلة أوردها الشيخ الصدوق في (عيون أخبار الرضا عليه السلام).

«... قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "..."

* كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ؛ جُزْءاً للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجُزْءاً لِأَهْلِهِ، وَجُزْءاً لِنَفْسِهِ.
* ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ. "..."
* فَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ، وَقَسْمُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ؛ فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ. "..."
* وَيَقُولُ.. لِيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي فِي حَاجَةِ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَ حَاجَتِهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَاناً حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. "..."
* يَدْخُلُونَ زُوَّاراً وَلَا يَفْتَرِقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ، وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً فُقَهَاءَ. [الذّواق بمعنى الفائدة، ويخرجون فقهاء يدلّون الناس على ما ينتفعون به ممّا سمعوه منه صلّى الله عليه وآله]

يسألُ الناسَ عمّا في الناس

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ مِنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ؟ قَالَ:

* كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ.
* وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ.
* وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ.
* وَيُحَذِّرُ النَّاسَ الْفِتَنَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَلَا خُلُقَهُ.
* وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ.
* وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، فَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ، وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنُهُ.
* مُعْتَدِلَ الْأَمرِ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ.
* لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمَلُّوا.
* لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ.
* لَا يَقْصُرُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يَجُوزُهُ.
* الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ.
* أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً.

لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله جل اسمه

مجلسُه مجلسُ حِلْمٍ وحَياء

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ:

* كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ.

* وَلَا يُوطِنُ الْأَمَاكِنَ وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا. [إيطانُ الأماكن بمعنى تخصيص مكان بعينه للجلوس على عادة وجهاء أهل الدنيا]

* وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ.

* يُعْطِي كُلَّا مِنْ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ حَتَّى لَا يَحْسَبَ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَداً أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ.

* مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ.

* وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ.

* قَدْ وَسِعَ النَّاسَ مِنْهُ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ فَكَانَ لَهُمْ أَباً وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً.

* مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا يُوهَنُ فِيهِ الْحُرَمُ، وَلَا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ، مُتَعَادِلُونَ، مُتَفَاضِلُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى. [لا تُنثى فلتاتُه، النّثو هو الإظهار، أي إذا صدرت عن بعض جلسائه صلّى الله عليه وآله هفوة أو زلّة يُكتَم عليها، ولا يعرف بها أحدٌ من غير الحاضرين]

* مُتَوَاضِعُونَ يُوَقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ، وَيُؤْثِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ، وَيَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ.

لا يتكلّم إلا فيما يرجو ثوابه

قَالَ: قُلْتُ كَيْفَ كَانَتْ سِيرَتُهُ مَعَ جُلَسَائِهِ؟ قَالَ:

* كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَائِمَ الْبِشْرِ سَهْلَ الْخُلُقِ لَيِّنَ الْجَانِبِ.

* لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ وَلَا عَيَّابٍ وَلَا مَدَّاحٍ. [الصخّاب: شديدُ الصياح]

* يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي فَلَا يُؤْيِسُ مِنْهُ وَلَا يُخَيِّبُ فِيهِ مُؤَمِّلِيهِ.

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله لا يتكلّم إلّا في ما يرجو ثوابَه.. ويصبرُ للغريب على الجَفوة في منطقه ومسألته

* قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: الْمِرَاءِ وَالْإِكْثَارِ وَمِمَّا لَا يَعْنِيهِ.

* وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ: كَانَ لَا يَذُمُّ أَحَداً، وَلَا يُعَيِّرُهُ، وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ.

* وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ.

* إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا، وَلَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ.

* مَنْ تَكَلَّمَ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ.

* حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثُ أَوَّلِهِم.

* يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ.

* وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ. [أي يَسترضون الجفاة بالعطيّة حذرَ أن يدخلوا على النبيّ فيبادروه بالكلام الجافي]

* وَيَقُولُ إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ. [أي فأضيفوه]

* وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا عَنْ مُكَافِئٍ. [إشارة إلى أن الثناء يكون عن صنيعة]

* وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ، فَيَقْطَعُهُ بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ.

تفكُّره فيما يبقى ويفنى

قَالَ: قُلْتُ كَيْفَ كَانَ سُكُوتُهُ، قَالَ:

* كَانَ سُكُوتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَرْبَعَةٍ: عَلَى الْحِلْمِ وَالْحَذَرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّفَكُّرِ.

* فَأَمَّا تَقْدِيرُهُ: فَفِي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ بَيْنَ النَّاسِ.

* وَأَمَّا تَفَكُّرُهُ: فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى.

* وَجُمِعَ لَهُ الْحِلْمُ وَالصَّبْرُ، فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ وَلَا يَسْتَنْفِزُهُ.

* وَجُمِعَ لَهُ الْحَذَرُ فِي أَرْبَعَةٍ: أَخْذُهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرْكُهُ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ، وَاجْتِهَادُهُ فِيمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ، وَالْقِيَامُ فِيمَا جَمَعَ لَهُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

شذرات من أخلاق النبيّ صلّى الله عليه وآله
جامعُ الأدب الإلهيّ الأجمل

■ العلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله

في تفسيره لمعنى كلمة «الخُلُق» الواردة في الآية الرابعة من سورة (القلم)، يقول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رضوان الله عليه: «قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم:٤: الخُلُق هو المَلَكة النفسانية التي تصدر عنها الأفعال بسهولة؛ وينقسم إلى الفضيلة وهي الممدوحة كالعفّة والشجاعة، والرذيلة وهي المذمومة كالشَّرَه والجُبن. لكنّه إذا أُطلق فُهم منه الخُلُق الحسن.

والآية وإنْ كانت في نفسها تمدح حُسن خُلُقه صلّى الله عليه وآله وسلّم وتُعظّمه، غير أنّها بالنظر إلى خصوص السياق ناظرةٌ إلى أخلاقه الجميلة الاجتماعية المتعلّقة بالمعاشرة؛ كالثبات على الحق، والصبر على أذى الناس، وجفاء أجلافهم، والعفو، والإغماض، وسعة البذل، والرفق، والمداراة، والتواضع، وغير ذلك».

في الجزء السادس من (تفسير الميزان) أورد العلامة الطباطبائي أكثر من مائة وثمانين رواية ونصّاً في جوامع أخلاقه صلّى الله عليه وآله وسلّم، نقلها عن عشرات المصادر الإسلامية. نورد في هذه المقالة عدداً منها، مع حذف المصادر والأسانيد.

لَمْ يَرتَحِل النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من منزلٍ إلّا وَصَلّى فيه ركعتَين، ويقول: «حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيَّ بالصَّلاة»

الآيات القرآنية التي يستفاد منها خُلُقه صلّى الله عليه وآله وسلّم الكريم، وأدبه الجميل، أكثرها واردة في صورة الأمر والنهي، ولذلك رأينا أن نورد في هذا المقام رواياتٍ من سُننه صلّى الله عليه وآله وسلّم، فيها مجامع أخلاقه التي تلوّح إلى أدبه الإلهي الجميل، وهي مع ذلك متأيّدة بالآيات الشريفة القرآنية.

١ – عن عليٍّ عليه السلام، قال: «**سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلّم يَقُول: بُعِثْتُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ وَمَحَاسِنِهَا**».

٢ – عن أبي سعيد الخدريّ، قال: «كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلَّم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ».

٣ – عن عليٍّ عليه السلام في خبرٍ طويل: «**وكَانَ صَلّى اللهُ عَليهِ وآلِهِ وسَلَّم يَبْكِي حَتَّى يَبْتَلَّ مُصَلَّاهُ خَشْيَةً مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ..**»، الحديث.

٤ – عن أبي سعيد الخدري قال: «لَمَّا نَزلَ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿..اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب:٤١، اشْتَغَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بِذِكْرِ اللهِ حَتَّى قَالَ الكُفَّارُ: إِنَّهُ جُنَّ».

٥ – عن زيد الشّحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**كَانَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يَتُوبُ إلى اللهِ فِي كُلِّ يَومٍ سَبْعِينَ مَرَّة**، قلتُ: أَكَانَ يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْه؟ قالَ: **لَا، وَلَكِن كَانَ يَقُولُ: أَتُوبُ إِلَى اللهِ..**».

٦ – عن عليٍّ عليه السلام أنّه كان إذا وصف رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، يقول: «**كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفّاً، وَأَجْرأَ**

النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْفَاهُمْ ذِمَّةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمَهُمْ عَشِيرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ فَعَرَفَهُ أَحَبَّهُ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ مِثْلَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ».

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الوِتْرِ سَبْعِينَ مَرّة، وَيَقُولُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ النَّارِ (سَبْعاً)

٧ – وفي (إحياء العلوم): «وَكَانَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم أَسْخَى النَّاسِ، لَا يَثبتُ عِنْدَهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُعْطِيهِ وَفَجَأَهُ اللَّيْلُ، لَمْ يَأْوِ إِلَى مَنْزِلِهِ حَتَّى يَتَبَرَّأَ مِنْهُ إِلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، لا يَأْخُذُ مِمَّا آتاهُ اللهُ إِلَّا قُوتَ عَامِهِ فَقَطْ مِنْ أَيْسَرِ مَا يَجِدُ مِنَ التَّمْرِ والشَّعِيرِ، وَيَضَعُ سَائِرَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ. لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلى قُوتِ عَامِهِ فَيُؤْثِرُ مِنْهُ، حَتَّى أَنَّهُ رُبَّمَا احْتَاجَ قَبْلَ انقِضَاءِ العَامِ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ شَيْءٌ. ويُنْفِذُ الحَقَّ وَإِنْ عَادَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بِالضَّرَرِ أَوْ عَلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: وَيَمْشِي وَحْدَهُ بَيْنَ أَعْدَائِهِ بِلَا حَارِسٍ، لَا يَهُولُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. وَيُجَالِسُ الفُقَرَاءَ، وَيُؤَاكِلُ المَسَاكِينَ، وَيُكْرِمُ أَهْلَ الفَضْلِ فِي أَخْلَاقِهِم، وَيَتَأَلَّفُ أَهْلَ الشَّرَفِ بِالبِرِّ لَهُم، يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُم عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَل مِنْهُم، لَا يَجْفُو عَلَى أَحَدٍ، يَقْبَلُ مَعْذِرَةَ المُعْتَذِرِ إِلَيْه. وَكَانَ لَهُ عَبِيدٌ وإِمَاءٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْتَفِعَ عَلَيْهِم فِي مَأْكَلٍ وَلَا مَلْبَسٍ، لَا يَمْضِي لَهُ وَقْتٌ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ للهِ تَعَالَى، أَوْ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ صَلَاحِ نَفْسِهِ، يَخْرُجُ إِلَى بَسَاتِينِ أَصْحَابِهِ، لَا يَحْتَقِرُ مِسْكِيناً لِفَقْرِهِ أَوْ زَمَانَتِهِ، وَلَا يَهَابُ مَلِكاً لِمُلْكِهِ، يَدْعُو هَذَا وَهَذَا إِلَى اللهِ دُعَاءً مُسْتَوِياً».

٨ – وفيه، قال: «وكان صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم أَبْعَدَ النَّاسِ غَضَباً وَأَسْرَعَهُم رِضًى، وَكَانَ أَرْأَفَ النَّاسِ بِالنَّاسِ، وَخَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، وَأَنْفَعَ النَّاسِ لِلنَّاسِ».

٩ – وفيه، قال: «وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إِذَا سُرَّ وَرَضِيَ فَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ رِضًى، فَإِنْ وَعَظَ وَعَظَ بِجِدٍّ، وَإِنْ غَضِبَ – وَلَا يَغْضَب إِلَّا لله – لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شيءٌ، وَكَذَلِكَ كَانَ فِي أُمُورِهِ كُلِّها، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الأَمْرُ فَوَّضَ الأَمْرَ إِلى الله، وَتَبَرَّأَ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ، واسْتَنْزَلَ الهُدى».

من سُننه وأدبه صلّى الله عليه وآله في العِشرة

١٠ – وفي (إرشاد) الديلمي: «كَانَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يَرقَعُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، ويَأكلُ مع العَبْدِ، ويجلسُ على الأَرضِ، وَيَرْكبُ الحمَارَ وَيُردِفُ، وَلَا يَمْنَعُهُ الحَيَاءُ أنْ يَحْمِلَ حَاجَتَهُ مِنَ السُّوقِ إِلَى أَهْلِهِ، وَيُصافِحُ الغنيَّ والفقيرَ، ولا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِ أَحَدٍ حَتَّى يَنْزِعَها هُوَ، وَيُسلِّمُ عَلى مَنِ اسْتَقْبَلَهُ مِن غِنِيٍّ وفقيرٍ وكَبيرٍ وصَغيرٍ، ولَا يُحَقِّرُ مَا دُعِيَ إليهِ وَلَو إِلى حَشفِ التَّمْرِ. وكانَ صَلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسلّمَ خَفِيفَ المَؤنَةِ، كَرِيمَ الطَّبيعَةِ، جَميلَ المُعَاشَرةِ، طَلِقَ الوَجْهِ، بَسَّاماً مِن غَيرِ ضَحِكٍ، مَحْزُوناً مِنْ غَيرِ عبوسٍ، مُتَواضِعاً مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ، جَواداً مِن غَيرِ سَرفٍ، رَقيقَ القَلبِ، رَحيماً بِكلِّ مُسلِمٍ، وَلَمْ يَتَجَشّأْ مِنْ شَبَعٍ قَطّ، وَلَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى طَمَعٍ قَطّ».

١١ – عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم: خَمْسٌ لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى المَمَات: الأَكْلُ عَلَى الأَرضِ مَع العَبيدِ، ورُكوبِي**

ولا يُوصَلُ الأمرُ المُمكنُ وينهى عن إيصالها

مُؤْكَفاً، وحَلْبِيَ العَنْزَ بِيَدِي، وَلُبْسُ الصُّوفِ، والتَّسليمُ على الصِّبيَانِ لِتَكُون سُنَّةً مِن بَعدي».

١٢ – عن عليٍّ عليه السلام، قال: «ما صافحَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم أحداً قطّ فَنَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ، وَمَا فَاوَضَهُ أَحَدٌ قطُّ فِي حَاجَةٍ أَوْ حَدِيثٍ فَانْصَرَفَ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْصَرِفُ (...) وَمَا رُئِيَ مُقَدِّماً رِجْلَهُ بَيْنَ يَدَي جَليسٍ لَهُ قطّ. وَلَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ بِأَشَدِّهِمَا، وَمَا انْتَصَرَ لِنَفْسِهِ مِنْ مَظْلَمَةٍ حَتَّى تُنْتَهَكَ مَحارِمُ اللهِ، فَيَكُون حِينَئِذٍ غَضَبُهُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَا أَكَلَ مُتَّكِئاً قطُّ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، وَمَا سُئِلَ شَيئاً قطُّ فَقَالَ: لَا، وَمَا رَدَّ سَائِلَ حَاجَةٍ قطُّ إِلَّا أَتَى بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ القَوْلِ، وَكَانَ أَخَفّ النَّاسِ صَلاةً فِي تَمَامٍ، وَكَانَ أَقْصَرَ النَّاسِ خُطْبَةً وَأَقَلَّهُم هَذراً، وَكَانَ يُعْرَفُ بِالرِّيحِ الطَّيِّبِ إِذا أَقْبَلَ، وَكَانَ إِذَا أَكَلَ مَع القَوْمِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَبْدَأُ وَآخِرَ مَنْ يَرْفَعُ يَدَهُ، وكانَ إذا أَكَلَ أَكَلَ مِمَّا يَلِيهِ، فَإِذا كَانَ الرُّطَبُ والتَّمْرُ جَالَت يَدُهُ، وَإِذا شَرِبَ شَرِبَ ثَلَاثَةَ أَنْفَاسٍ، وَكَانَ يَمصُّ المَاءَ مَصّاً وَلَا يَعبُّهُ عَبّاً، وَكَانَ يَمِينُهُ لِطَعَامِهِ وشَرابِهِ وأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ، فَكَانَ لَا يَأْخُذُ إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يُعْطِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَكَانَ شِمَالُهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ بَدَنِهِ، وَكَانَ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ؛ فِي لُبْسِهِ وَتَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ. وَكانَ إِذا دَعَا دَعَا ثَلاثاً، وإِذَا تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ وتْراً، وَإِذَا اسْتَأْذَنَ استَأْذَنَ ثَلاثاً، وَكَانَ كَلامُهُ فَصْلاً يَتَبَيَّنُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كالنُّورِ يَخرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاه "..." وَكَانَ نَظَرُهُ اللَّحْظَ بِعَيْنِهِ، وَكَانَ لَا يُكَلِّمُ أَحداً بِشَيءٍ يَكْرَهُهُ "..."».

١٣ – عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يُقَسِّمُ لَحَظَاتِهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَيَنْظُرُ إِلَى ذَا وَيَنْظُرُ إِلى ذَا بِالسَّوِيَّةِ...».

١٤ – عن الصادق عليه السلام، قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِيهِ دُعَابَة، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُدَاعِبُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقّاً».

١٥ – عن معمر بن خلاد، قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام فقلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، الرَّجُلُ يَكُونُ مَع القَوْمِ فَيَمْضِي بَيْنَهُم كَلَامٌ يَمْزَحُونَ وَيَضْحَكُون؟ فقال: لَا بَأْسَ مَا لَمْ يَكُنْ، فَظَنَنْتُ أَنَّه عَنَى الفُحش. ثمَّ قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم كَانَ يَأْتِيهِ الأعرابِيُّ فَيَأْتِي إِلَيْهِ بِالهَدِيَّةِ، ثمَّ يَقُولُ مَكَانَهُ: أَعْطِنَا ثَمَنَ هَدِيَّتِنَا! فَيَضْحَكُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم...».

١٦ – عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم أَكْثَر مَا يَجْلِسُ تِجَاهَ القِبْلَة».

١٧ – رُوي: «أنّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم كانَ لا يَدَعُ أحداً يَمشي مَعَهُ إذا كانَ رَاكِباً حَتَّى يَحْمِلَه مَعَهُ، فَإِنْ أَبَى قَالَ: تَقَدَّمْ أَمَامِي وَأَدْرِكْنِي فِي المَكَانِ الَّذِي تُرِيد».

> مَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم مِنْ أَنْ يَظَلَّ جَائِعاً خَائِفاً فِي اللهِ

١٨ – وجاء في (الآثار): «أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم لَم يَنْتَقِم لِنفسِهِ مِن أحدٍ قطّ، بَل كانَ يَعفُو ويَصفَح».

١٩ – «كان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم إذا فَقَدَ الرَّجُلَ مِنْ إِخْوانِهِ ثلاثةَ أيَّامٍ سألَ عنهُ، فَإِنْ كانَ غائباً دَعَا له، وإِنْ كان شَاهِداً زارَه، وإِنْ كَانَ مَريضاً عَادَهُ».

٢٠ – وفيه: عن أنَس قال: «خَدمتُ النَّبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم تِسعَ سنين، فمَا أعلمُ أنّه قالَ لي قطّ، هلّا فعلتَ كذا وكذا؟ ولا عابَ عليَّ شيئاً قطّ».

وإذا انتهى إلى قومٍ جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك

٢١ - قال أنس: «والّذي بَعَثَهُ بِالحَقِّ، مَا قَالَ لِي فِي شَيءٍ قَطّ كَرِهَهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ ولَا لامَنِي نِسَاؤُهُ إِلَّا قالَ: دَعوه، إِنَّمَا كانَ هذا بكتابٍ وَقدَر».

٢٢ - «ولقد كان صلّى الله عليه وآلِه وسلّم يدعو أصحابَه بكناهم إكراماً لهم ".." ويُكَنّي مَن لَمْ يَكُن لَهُ كُنْيَة ".." ويُكنّي أيضاً النِّساءَ اللّاتِي لهنَّ الأولاد واللّاتي لَم يَلِدنَ، ويكنّي الصبيان...».

٢٣ - «وكانَ صَلّى الله عليه وآلِهِ وسلّم يؤثِرُ الدَّاخلَ عليهِ بالوسَادَةِ الَّتي تَحتهُ، فَإِنَ أَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا عَزَمَ عَلَيْهِ حَتَّى يَفْعَل».

في التنظّف والزينة

٢٤ - قال رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم: «**إِنَّ المَجُوسَ جَزُّوا لِحَاهُم وَوَفَّرُوا شَوارِبهُم، وإِنَّا نحنُ نَجُزُّ الشَّوارِبَ ونُعْفِي اللّحَى**».

توفّي رَسُولُ الله
صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم
وما وَضع لَبِنةً على لبنةٍ

٢٥ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مِنَ سُنَنِ المُرْسَلِينَ السِّوَاكُ**».

٢٦ - «كانَ لا يُعرَض له طِيبٌ إلَّا تطيَّبَ، ويقول: **هُوَ طَيِّبٌ رِيحُهُ خَفِيفٌ مَحْمَلُه**».

٢٧ - عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «**كانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يُنْفِقُ فِي الطِّيبِ أَكْثَرَ مِمَّا يُنْفِقُ فِي الطَّعَام**».

في السفر

٢٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم فِي سَفَرِهِ إِذَا هَبَطَ هَلَّلَ، وَإِذا صَعدَ كَبَّرَ**».

٢٩ - روي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لَمْ يَرتَحِل مِن منزلٍ إِلَّا وَصَلَّى فيه ركعتين، وقال: «**حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيَّ بالصَّلاةِ**».

٣٠ - وفي (الفقيه)، قال: «كان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم إذا ودّعَ المؤمنين، قال: **زَوَّدَكُمُ اللهُ التَّقْوَى، وَوَجَّهَكُم إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وقَضَى لَكُم كُلَّ حَاجَةٍ، وَسَلَّمَ لَكُم دِينَكُم وَدُنْيَاكُم، وَرَدَّكُم سَالِمِينَ إِلَيَّ غَانِمِينَ**».

٣١ - عن عليٍّ عليهم السلام: «**أنّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم كانَ يقولُ للقَادِمِ مِن مكّةَ: تَقَبَّلَ اللهُ نُسُكَكَ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وأَخْلَفَ عَلَيْكَ نَفَقَتَكَ**».

في الملابس وما يتعلّق بها

٣٢- «روي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يلبس من الثياب ما وجد من إزارٍ أو رداءٍ، أو قميصٍ أو جبّةٍ أو غير ذلك، وكان يعجبه الثياب الخضر، وكان أكثر ثيابه البياض، ويقول: (**أَلْبِسُوهَا أَحْيَاءَكُم، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُم**).

وكان له ثوبان لجُمعته خاصّة سوى ثيابه في غير الجمعة. وكانت له عمامةٌ تُسمَّى السّحاب، فوهبَها من عليٍّ عليه السلام، فربّما طلع عليٌّ فيها فيقول صلّى الله عليه وآله وسلّم: (**أَتَاكُم عليٌّ في السَّحاب**).

وكان إذا لبسَ ثوباً لَبسَهُ مِنْ قِبَلِ ميامنه، ويقول: (**الحَمْدُ للهِ الَّذي كَسَاني مَا أُوارِي بِهِ عَوْرَتِي وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ**)، وَإِذَا نَزَعَ ثَوْبَهُ أَخْرَجَهُ مِن مَيَاسِرِه».

٣٣- عن عليٍّ عليه السلام: «**البسُوا الثِّيابَ القُطنَ، فإنَّها لِباسُ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم، وَلَمْ يَكُنْ يَلْبسُ الشَّعْرَ والصُّوفَ إلَّا مِنْ عِلَّةٍ**».

٣٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**كانَ لِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم خاتَمان: أَحَدُهُما عَلَيه مَكْتُوبٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، والآخَر: صَدَقَ اللهُ**».

في المسكن وما يتعلّق به

٣٥- توفِّي رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم وما وَضع لَبِنةً على لبنةٍ.

٣٦ - قال صلّى الله عليه وآله: «**المَساجِدُ مَجالِسُ الأَنْبياءِ**».

٣٧ - عن خديجة عليها السلام، قالت: «كان النَّبيُّ صلّى الله عليهِ وآلِهِ وسلَّم إذا دَخَلَ المَنْزِلَ دَعَا بِالإِناءِ فَتَطَهَّرَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ يَقومُ فَيُصَلّي رَكْعَتَين يُوجِزُ فِيهِما، ثُمَّ يَأْوِي إِلَى فِراشِهِ».

٣٨ - عن أبي جعفر عليه السلام: «**مَا استَيقظَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم مِنْ نَوْمٍ قَطُّ إِلَّا خَرَّ للهِ سَاجِداً**».

في الأطعمة والأشربة وما يتعلّق بالمائدة

٣٩- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **مَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم مِنْ أَنْ يَظَلَّ جَائِعاً خَائِفاً فِي الله**».

٤٠ - عن العيص بن القاسم، قال: «قلت للصادق عليه السلام: حديثٌ يروى... مَا شَبِعَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم مَنْ خُبْزِ بُرٍّ قَطّ، أَهُوَ صَحِيح؟ فقال: **لَا، مَا أَكَلَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم خُبْزَ بُرٍّ قَطّ، ولَا شَبِعَ مِنْ خُبْزِ شَعيرٍ قَطّ**».

٤١ - عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَا أكلَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم مُتَّكِئاً مُنذُ بَعَثَهُ اللهُ حَتَّى قُبِضَ. كانَ يَأكُلُ أَكْلَةَ العَبْدِ، وَيَجلسُ جِلْسةَ العَبْد**. قلت: وَلِمَ؟ قال: **تَواضُعاً للهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

> «كان رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يُحَدِّثُنَا وَنُحَدِّثُهُ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ نَعْرِفْه»

٤٢ - عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يَأْكُلُ أَكْلَ العَبْدِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ العَبْدِ، وَكَانَ يَأْكُلُ عَلى الحَضِيضِ وَيَنامُ عَلَى الحَضِيض**».

٤٣ – عن الصادق عليه السلام: «**كان النّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يَأكلُ كلَّ الأصنافِ مِن الطَّعام، وكانَ يَأكلُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُ مَع أَهلِهِ وَخَدَمِهِ إِذَا أَكَلُوا، وَمَع مَنْ يَدْعُوه مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَى الأَكْلِ، وَعَلَى مَا أَكَلُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَكَلُوا، إلّا أَنْ يَنزلَ بهم ضَيفٌ فَيَأكُلُ مَع ضَيْفِهِ** – إلى أن قال – **وكانَ أَحبُّ الطّعامِ إليهِ مَا كانَ على ضَفَف**». [الضّفف: كثرة العيال ونحوها، والضَّفة بالفتح: الجماعة]

٤٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَا قُدِّمَ إلى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم طَعامٌ فيهِ تَمْرٌ إِلَّا بَدَأَ بِالتَّمرِ**».

٤٥ - «كان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يَحمدُ اللهَ بينَ كلِّ لقمتَين».

٤٦ - وفي (المكارم) أنّه صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم كانَ إذا شَرِبَ بَدَأَ فَسَمَّى – إلى أن قال: ويَمصُّ المَاء مَصّاً وَلَا يَعبُّهُ عَبّاً، ويقول: **إِنَّ الكُبادَ مِنَ العَبِّ**. [الكُبادُ داءٌ يعرِضُ للكَبِد]

٤٧ - عن عليٍّ عليه السلام، قال: «**تَفَقَّدْتُ النَّبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّم غيرَ مَرَّةٍ، وهوَ إذا شَرِبَ تَنَفَّسَ ثَلاثاً؛ مَع كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْها تَسْمِيَةٌ إِذَا شَرِبَ وتَحْمِيدٌ إذا انْقَطَعَ،**

فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا عَلِيّ، شُكْراً لِلهِ تَعَالَى بِالحَمْدِ وتَسْمِيَةً مِنَ الدَّاءِ».

٤٨ - وفي (المكارم): «كان صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم لا يتنفَّسُ في الإناء إذا شَرِبَ، فإنْ أراد أنْ يتنفَّس أبعدَ الإناء عن فِيهِ حتّى يَتنفَّس».

٤٩ - «كان صلّى الله عليه وآله لا يأكل الحارَّ حتّى يَبرد "..." وكان إذا أكلَ سمَّى، ويأكلُ بِثلاثِ أصابع، ومِمّا يَلِيهِ، وَلَا يَتنَاوَلُ مِنْ بَينِ يَدَي غَيْرِه، ويُؤتَى بِالطَّعامِ فَيَشرع قَبْلَ القَومِ ثُمّ يَشرعون..».

٥٠ - «كان صلّى الله عليه وآله يشرب بكفِّه يَصبُّ الماء فيها، ويقول: لَيسَ إناءٌ أَطْيَبَ مِنَ اليَد».

٥١ - عن الإمام الصادق عليه السلام: «كانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يَذْبَحُ يَومَ الأضحى كَبْشَين، أَحَدُهُما عَن نَفْسِهِ والآخَرُ عَمَّنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ أُمَّتِه».

> قال أنس: «والّذي بَعَثَهُ بِالحَقِّ، مَا قَالَ لِي فِي شَيءٍ قَطّ كَرِهَهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ ولَا لامَنِي نِسَاؤُهُ إِلَّا قَالَ: دَعوه، إِنَّمَا كانَ هذا بكتابٍ وَقدَر»

في الأموات وما يتعلّق بها

٥٢- كان النّبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم إذا أَتْبَعَ جَنَازَةً غَلَبَتْهُ كَآبة، وَأَكْثَرَ حَديثَ النَّفس، وأقلَّ الكَلام.

٥٣ - عن عليٍّ عليه السلام: «أنّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم كان يَحثُو ثَلاثَ حَثَياتٍ مِنَ تُرابٍ على القَبْرِ».

٥٤ - وعنه عليه السلام: «أنّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم إذا عزَّى، قالَ: آجَرَكُمُ اللهُ ورَحِمَكُم، وإذا هنَّأَ قال: بَارَكَ اللهُ لكُم وبَارَكَ اللهُ عَلَيكُم».

في الصلاة وما يلحق بها

٥٥ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «المَضْمَضَةُ والاسْتِنْشَاقُ مِمَّا سَنَّ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم».

٥٦ - وعنه عليه السلام: «غُسْلُ الجُمُعَةِ سُنَّةٌ واجِبَةٌ عَلَى الرِّجَالِ والنِّساءِ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ "..." غُسْلُ يَومِ الجُمُعَةِ طَهُورٌ وكَفّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الذُّنُوبِ؛ مِنَ الجُمُعَةِ إِلى الجُمُعَة..».

٥٧ - وعنه عليه السلام: «كانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يُصَلّي مِنَ التَّطَوُّعِ مِثْلَي الفَرِيضَة، وَيَصُومُ مِنَ التَّطَوُّعِ مِثْلَي الفَرِيضَة».

٥٨ - وعنه عليه السلام: «مَنْ قَالَ فِي وِتْرِهِ إذا أَوْتَرَ: (أَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبِّي وأَتُوبُ إِلَيْهِ) سَبْعِينَ مَرَّة، وَوَاظَبَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَضَى سَنَةً، كَتَبَهُ اللهُ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الوِتْرِ سَبْعِينَ مَرّة، وَيَقُولُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ النَّارِ سَبْعاً..»، الخبر.

٥٩ - كان النّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يقولُ فِي قُنوتِ الوِتْر: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى

عَلَيكَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ البَيْتِ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَأُؤمِنُ بِكَ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَا رَحِيمُ».

٦٠ – عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم إذا جَاءَ شَهْرُ رَمضان زَادَ فِي الصَّلاةِ، وَأَنا أَزِيدُ، فَزِيدُوا**».

٦١ – قالت عائشة: «كان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يُحَدِّثُنَا وَنُحَدِّثُهُ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفنَا وَلَمْ نَعْرِفه».

٦٢ – عن ابن مسعود، قال: «كانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاةِ وَيَقُولُ: **اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكم**..»، الخبر.

في الصيام

٦٣ – وفي (الكافي): «**قُبِضَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم عَلَى صِيَامِ شَعْبَانَ وَرَمضَانَ وثلاثةَ أيَّامٍ مِن كُلِّ شَهْرٍ**».

٦٤ – عن أنَس، قال: «كانت لِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم شربَةً يُفْطِرُ عَلَيها وَشربَةً للسَّحَرِ، ورُبَّمَا كَانَت وَاحِدةً ورُبَّما كانَت لَبَناً، وَرُبَّمَا كانَت الشّربَةُ خُبْزاً يُمَاث..»، الخبر.

٦٥ – وفي (الفقيه) قال: «**وكان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم إذا دَخَلَ شَهْرُ رَمضانَ أَطْلَقَ كُلَّ أَسِيرٍ وَأَعْطَى كُلَّ سَائِلٍ**».

في قراءة القرآن

٦٦ – عن أمّ سلَمة رضيَ اللهُ عنها: «كان النّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يُقَطِّع قِراءتَه آيَةً آيَة».

٦٧ – عن جابرٍ، قال: «كان صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم لا يَنامُ حَتَّى يقرأَ (تبارك) و(ألم التنزيل)». [أي سورتَي المُلك والسجدة]

٦٨ – عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم يُحِبُّ هَذِهِ السُّورَة: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**..».

> **كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْبَحُ يَومَ الأضحى كَبْشَين، أَحَدُهُما عَن نَفْسِهِ والآخَرُ عَمَّنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ أُمَّتِه**

أقول (العلّامة الطباطبائي): وله صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم خُطبٌ وبيانات يرغّب فيها ويحثّ على التمسُّك بالقرآن والتدبُّر فيه، والاهتداء بهدايته، والاستنارة بنوره، وكان هو صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّم أولى الناس بما يندبُ إليه من الكمال وأسبقَ الناس وأسرعَهم إلى كلّ خير، وهو القائل: «**شَيَّبَتْنِي سُورة هُود**» [يشير صلّى الله عليه وآله إلى قوله تعالى فيها: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ..﴾ هود:١١٢]، وقد رُوي عن ابن مسعود، قال: «أَمَرَنِي رَسُولُ الله صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم أَنْ أَتْلُوَ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنَ القُرآنِ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُورَةِ (يونس) حتَّى إذا بَلَغْتُ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿..وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ..﴾ يونس:٣٠، رَأَيْتُهُ وَإِذا الدَّمْعُ تَدُورُ فِي عَيْنَيْهِ الكَرِيمَتَين».

فهذه شذَراتٌ من آدابه وسُننه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقد استفاضت الروايات وتكرَّر النقلُ في كثيرٍ منها في كُتب الفريقَين، والكلام الإلهيّ يؤيّدها ولا يدفع شيئاً منها، والله الهادي.

حتى لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه

من كتاب (مكارم الأخلاق) للطبرسي

نُبَذٌ من أحواله وأخلاقه صلّى اللّٰه عليه وآله

إعداد: «شعائر»

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنَّ اللهَ تبارَكَ وتَعالَى خَصَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، فَامْتَحِنُوا أَنْفُسَكُم، فَإِنَّ كَانَتْ فِيكُم، فَاحْمَدُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا - فَذَكَرَهَا عَشرة: اليقِينُ، والقَنَاعَةُ، والصَّبْرُ، والشُّكْرُ، والحِلْمُ، وحُسْنُ الخُلُقِ، والسَّخاءُ، والغيرَةُ، والشَّجاعَةُ، والمُرُوءَة».

ورد في أحوال النبيّ الأكرم وصفاته صلى الله عليه وآله ما لا حصرَ له من الروايات. وقد ذكر أهل بيت العصمة عليهم السلام الكثير منها ممّا انطوت عليه أسفار ومؤلّفات المحقّقين.

في ما يلي مقتطفات أوردها الشيخ الجليل المحقّق الحسن بن الفضل الطبَرسيّ في كتابه المعروف (مكارم الأخلاق) وتدور حول صفات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

في تواضعه وحيائه صلّى الله عليه وآله

* عن أنَس بن مالك، قال: «كانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ يَعُودُ المَريضَ، وَيَتْبَعُ الجَنازَة، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ المَمْلُوكِ..».

* وعنه قال: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَليهِ وآلِهِ، مَرَّ عَلى صِبْيانٍ فَسَلَّم عَلَيْهِم وهُوَ مُغِذّ».

* وعنه قال: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَآلِهِ أَدْرَكَهُ أعْرابِيٌّ فَأَخَذَ بِردائِهِ فَجَبَذَهُ [أيْ جَذَبَهُ] جَبْذَةً شَديدَةً حتَّى نَظَرْتُ إلى صفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَآلِهِ قَدْ أثَّرَتْ بها حاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مالِ اللهِ الَّذي عِنْدَكَ! فالْتَفَتَ إلَيْه رسُولُ الله صَلَّى اللهُ عليهِ وَآلِهِ فَضَحِكَ وأمَرَ لَهُ بِعَطاءٍ».

في جُوده

* عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «أَنَا أَدِيبُ اللهِ وَعَلِيٌّ أَدِيبِي، أَمَرَنِي رَبِّي بِالسَّخَاءِ وَالبِرِّ، وَنَهَانِي عَنِ البُخْلِ وَالجَفَاءِ، وَمَا شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ البُخْلِ وَسُوءِ الخُلُقِ، وَإِنَّهُ لَيُفْسِدُ العَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ».

* عن جابر بن عبد الله، قال: «لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ شيئاً قطُّ فيَقول: لَا».

* عن عمر، قال: «إِنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ النبيّ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ، فإذا جَاءَنا شيءٌ قَضَيْنَاه.

قالَ عُمر: فقلتُ: يا رسولَ الله، مَا كَلَّفَكَ اللهُ مَا لَا تَقْدِر عَلَيه! قال: فَكَرِهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ قولَهُ. [أي قول عمر]

فقالَ الرَّجُل: أَنْفِقْ وَلَا تَخَفْ مِنْ ذِي العَرْشِ إِقْلَالاً. قال: فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وعُرِفَ السُّرورُ فِي وَجهِه».

شجاعتُه صلّى الله عليه وآله

* عن عليٍّ عليه السلام قال: «لَقَد رَأَيْتُنِي يَومَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إلى العَدُوِّ، وكانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً».

* وعنه عليه السلام، قال: «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ البَأْسُ وَلَقِيَ القَوْمُ القَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إلى العَدُوِّ منه».

في علامة رضاه

* عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «**كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَآلِهِ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتمُّ الصَّالِحَاتُ**».

* عن كعب بن مالك، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا سَرَّهُ الأَمْرُ، اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ دَارَةُ القَمَرِ».

في الرّفق بأمّته صَلَّى اللهُ عليهِ وَآلِهِ

* عن جابر بن عبد الله، قال: «غزا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إحدى وعشرين غزوةً بنفسه؛ شاهدتُ منها تسع عشرة غزوة وغبتُ عن اثنتَين. فبينا أنا معه في بعض غزواته إذ أعيا ناضحي تَحتي باللّيل فبرَكَ، وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في أُخريات الناس يُزجي الضعيف، ويُردفه ويدعو لهم، فانتهى إليَّ وأنا أقول: يا لهفَ أمّاه! ما زال لنا ناضحَ سوء!

فقال صلّى الله عليه وآله: **مَن هذا؟**

فقلت: أنا جابر، بأبي وأمي يا رسول الله.

قال: **وما شأنُك؟** قلت: أعيا ناضحي.

فقال: **أمعَك عَصا؟**

فقلت: نعم. فضربه، ثمّ بعثَه، ثم أناخَه ووطئ على ذراعه، وقال: **إركب.**

فركبتُ وسايرتُه فجعلَ جملي يسبقُه. فاستغفرَ لي تلك اللّيلة خمسةً وعشرين مرة...».

* عن ابن عباس قال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذا حدّث الحديثَ أو سُئلَ عن الأمر كرّره ثلاثاً ليفهم ويُفهم عنه».

في المُزاح والضَّحك

* عن أبي الدرداء، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِذا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ تَبَسَّمَ فِي حَدِيثِهِ».

* عن يونس الشيباني، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السّلام: «**كَيْفَ مُدَاعَبَةُ بَعْضِكُم بَعضاً؟** قلت: قليلاً، قال: **هَلَّا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ المُدَاعَبَةَ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّكَ لَتُدْخِلُ بِهَا السُّرُورَ عَلَى أَخِيكَ. وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ يُدَاعِبُ الرَّجُلَ يُرِيدُ بِهِ أَنْ يَسُرَّهُ**».

بُورِكَ لبيت فيه (محمّد)

* عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ يُقْرِئُكَ السَّلام وَيَقُولُ لَكَ: هَذِهِ بَطْحَاءُ مَكَّةَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكُونَ لَكَ ذَهَباً. قَالَ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السَّماءِ ثَلَاثاً، ثُمَّ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً فَأَحْمَدُكَ، وَأَجُوعُ يوماً فَأَسْأَلُك**».

* وعنه عليه السلام، قال: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ، وَاعَدَ رَجُلاً إِلى الصَّخْرَةِ** [الصَّفا]، **فقالَ: أَنَا لَكَ هُنَا حَتَّى تَأْتِي، قالَ: فَاشْتَدَّتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّكَ تَحَوَّلْتَ إِلَى الظِّلِّ، قَالَ: وَعَدْتُهُ هَهُنا، وَإِنْ لَمْ يَجِئ كَانَ مِنْهُ الجَشْرُ** [الخُلف والإهمال]».

* عن أبي رافع، قال: «سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: **إِذَا سَمَّيْتُم مُحَمَّداً فَلَا تُقَبِّحُوهُ، وَلَا تَجْبَهُوه** [جَبْهُ الرَّجُل: ردّه عن حاجته]، **ولا تَضْرِبُوهُ، بُورِكَ لِبَيْتٍ فِيهِ مُحَمَّدٌ، وَمَجْلِسٍ فِيهِ مُحَمَّدٌ، وَرِفْقَةٍ فِيهَا مُحَمَّد**».

في آداب الجلوس

* دخل عليه صلّى الله عليه وآله رجلٌ المسجدَ وهو جالسٌ وحده، فتزحزحَ له صلّى الله عليه وآله، فقال الرجُل: في المكان سعةٌ يا رسولَ الله، فقال صلّى الله عليه وآله: «**إِنَّ حَقَّ المُسْلِمِ عِلى المُسلِمِ إِذا رَآهُ يُرِيدُ الجُلوسَ إِلَيهِ أَنْ يَتَزَحْزَحَ لَهُ**».

* ورُوي أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

* وقال صلّى الله عليه وآله: «**لا تَقُومُوا كَمَا يَقُومُ الأَعَاجِمُ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ، وَلَا بَأْسَ بِأَنْ يَتَخَلَّلَ عَنْ مَكَانِهِ**».

* ورُوي أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُم مِنْ مَجْلِسِهِ مُنْصَرِفاً فَلْيُسَلِّم، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَوْلَى مِنَ الأُخْرَى**».

* ورُوي عنه صلّى الله عليه وآله: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُم مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجعَ فَهُوَ أَوْلَى بِمَكَانِهِ**».

* وعنه صلّى الله عليه وآله: «**أَعْطُوا المَجَالِسَ حَقَّها**. قيل: ومَا حَقُّها؟ قال: **غُضُّوا أَبْصَارَكُم، وَرُدُّوا السَّلامَ، وَأَرْشِدُوا الأَعْمَى، وَأَمُرُوا بِالمَعْرُوفِ، وانْهَوا عَنِ المُنْكَرِ**».

من مجالسة القرآن إلى مجالسة القرآن

مكارم الأخلاق

من النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله إلى الوليّ الخاتم عليه السلام

محمود إبراهيم

من مكارم الله تعالى على العالمين أنْ خصَّهم بالنبيّ الخاتم وورَثَته من الأوصياء، والأئمّة، والعلماء الربّانيّين. وذلك لكي يبيّن لهم الحجّة البالغة التي بها يُدركون سعادتهم الدنيوية، وخلاصهم الأُخرويّ. والحجّة البالغة هي المقصد الأعلى للنبوّة الخاتمة التي قال النبيّ الأكرم فيها بأنّها تمام مكارم الأخلاق. ولئن كانت الحقيقة المحمّدية هي الترجمة الإلهية للتطابق بين سنّة التكوين وسنّة التشريع، فتمامُ مكارم الأخلاق إنّما هو حاصل هذا التطابق المُفضي إلى وحدة الغَيب والشهادة. وتُحقّق هذه الوحدة، قيمُ الأوصياء والأولياء بعد ختم النبوّة بمهمّة استكمال رسالة الوحي في التاريخ البشري وإعمار الأرض، على نصاب القسط والعدل. فالسعادة التامّة الخالصة – كما يبيِّن الحكماء – هي مهمّة يتولاَّها أهل القرب من الحضرة الإلهية. وهؤلاء هم الذين جمعوا صراط التكوين إلى صراط التشريع، فكانت لهم مكارم الأخلاق نقطة الجمع والالتقاء، لينجز الله بوساطتهم سعادة الدارين.

ولمّا كان الصراط التكويني هو الهندسة الإلهية الكلّية لنظام الكون، وهو النظام الحافظ للوجود والمحيط بكلّ شيء، فإنّ الصراط التشريعيّ هو الوحي الذي تنزّل على قلب النبيّ وظهر في قوله وعمله، ليُنظّم حياة الإنسان، ويبيّنَ له الحدود الفاصلة بين الخير والشرّ، وبين الجميل والقبيح. ولأنّ الصراطين يعودان إلى أصلٍ واحد، هو وحي الله إلى نبيّه الخاتم، فقد تجلّى هذا الأصل بالختم والفتح معاً. فهو ختمٌ للنبوّة الظاهرة. وفتحٌ للنبوّة الباطنة، وهو الولاية الحافظة لأمر الله ووحيه وسُنّة نبيّه، وهي المتمِّمة من بعده مكارمَ الأخلاق التي بُعث من أجلها.

يُجمع العلماء الربّانيون على أنّ الولايةَ تظهيرٌ مستأنَف لباطن النبوّة. وبهذا التظهير تكتمل الهندسة المعرفية التي تترجم الحضور الإلهيّ في الزمن البشريّ. ولئن كان الاستئناف دالّاً على حركةٍ بعد توقّف – لغةً واصطلاحاً – فهو في جدليّة العلاقة بين النبوّة والولاية يتّخذ معناه الخاصّ، ليشير إلى التواصل الباطنيّ الذي ما انفكّ بُرهةً عن الفعل. فَمَثلُ هذا التواصل كَمَثلِ حركةٍ في الجوهر تنتظر مَن يدفعها إلى الظهور لتقوم بمهمّة توصيل معارف الوحي ومقاصد الشريعة إلى الأفهام على امتداد الأزمنة المتعاقبة. ولمّا ذهب الأئمّة عليهم السلام وأكابرُ العرفاء إلى التأسيس على هذه الحقيقة، كانوا على يقينٍ لا شُبهةَ فيه، من أنّ حقيقة الإيمان بالتوحيد يعادلُ الإقرار بالولاية، وأنّ التوحيد والولاية أمران لا ينفصلان، وأنّ الولاية هي الدليل على تجلّي الأسماء والصفات والأفعال الإلهية في كلّ طَورٍ من أطوار التوحيد.

تبعاً لما ذُكر تكون الولاية عنصراً ذاتيّاً من عناصر ختم النبوّة. فالوليّ هو خليفة النبيّ، ومبيّنُ الشريعة من بعده، وهو الذي يتولّى صيرورة الدين الخاتم - بعد ارتحال نبيّه - إلى غاياته ومقاصده. بل إنّه يؤكد بتبنّيه لأحكام الدين، استمرار الصِّلة بعالم الغيب في عهد انقضاء النبوّة. ولأجل ذلك تحظى الوراثة النبويّة التي للوليّ والوصيّ بدورِ حلقة الوصل بين الحقّ والخَلق.

والتأسيسُ الرحمانيّ للولاية، حاضرٌ بالمجمل في الخطاب الإلهي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ المائدة:٥٥، وفي التفسير أنّ الولاية هي لله بالأصالة، وللرسول وللمؤمنين بالتبَع. فيكون التقدير كما في التفسير: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾ ليكون في الكلام أصلٌ وتبَع. ولا يخفى على المتأمّل أنّ المآل واحد.

ولمّا كانت الولاية واحدةً ذات مراتب وفقاً لمبدأ التراتب الطولي القرآني، فلَسوف تكتسب منازلها المتعدّدة صفة الأصالة المُفاضة عليها من لدُن الوليّ الأعظم تعالى.

وتبعاً للإخبار الإلهي في ما جاءت به آية الولاية، سنكون أمام هرم وجوديّ يتوقّف على فهمه وإدراك معانيه، عرفانُ جميلِ صُنع الله ولطفه بخلقه.

من هذا النحو تتمظهر منازل الولاية على ثلاث مراتب وجودية هي: ولاية الله – ولاية النبيّ – ولاية الوليّ.

> **تمامُ مكارم الأخلاق هو حاصلُ التطابق بين سنّة التكوين وسنّة التشريع، ما يُفضي إلى وحدة الغَيب والشهادة**

المرتبة الأولى - ولاية الله: وهي الولاية الحقيقيّة المطلقة، وتكون بالأصالة للوليّ الواحد الأحد على العالمين. وفي القرآن المجيد من الآيات البيّنات ما يشير إلى الأصالة الإلهيّة لولاية الله. وأنّ الله تعالى سمّى ذاته المقدسة بالوليّ لأنه المهيمن بأسمائه وصفاته على كلّ شيء كما في قوله تعالى: ﴿..مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ الكهف:٢٦.

وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ..﴾ الشورى:٩، فالولاية له تعالى خاصّة على الناس أجمعين، وهو الذي يعيّن للناس مَن يتولّى أمورهم.

المرتبة الثانية - ولاية النبيّ: وهي من الله. أي إنّها امتدادٌ لولايته تعالى ومن أمره. ولأنّ ولايته تعالى محيطةٌ بكلّ شيء، ومدبّرةٌ لنظام الخلق، وبسُنَنِها تنتظم هندسة الكون، فولاية النبي الخاتم، صلّى الله عليه وآله، المستمدّة من الرحمانية هي - بهذه الصفة الاستمدادية - ولاية للعالمين. ولكونها كذلك، فهي ظهورٌ لمشيئة الله وإرادته في عالم الإنسان: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء:١٠٧. فهي، إذاً، رسالة لجميع الناس وولاية الرسول حاكمة على العالمين، ومظهِرةٌ للدين القيّم. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا..﴾ سبأ:٢٨.

المرتبة الثالثة - ولاية الوليّ: وهي متّصلة بالولايتَين الأولى والثانية، وبها تتجلّى الحقيقة المحمّدية في عالَمي الغيب والواقع، ومن خلالها يكشف الحقّ عن عنايته بشؤون الخلق. فإنّ أولياءه هم المكلَّفون بالمعاينة والمتابعة وحفظ الكتاب. وولاية الوليّ مصرَّحٌ عنها في القرآن الكريم بوجود شاهدٍ

صابرة حتى يكون هو المنصرف عنه.

على المسلمين يتلو رسولَ الله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ..﴾ هود:١٧.

ومعنى «يتلوه» أي يخلُفه، ومعنى خلافته له هو قيامه مقامَه في كلّ شيء ما خلا النبوّة التي خُتمت به صلّى الله عليه وآله. ولقد عيّن الله سبحانه هذا الشاهد بالإشارة والوصف، فوصفه تارة بأنّه من رسول الله كما في الآية. ووصفه تارة أخرى، بأنّ عندَه – أي الوليّ – مِن عندِه، جلّ شأنه، علم الكتاب، كما في الآية: ﴿..قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الرعد:٤٣. وبهذا التقدير الإلهيّ سنجد كيف يحدّد القرآن الكريم الإطار المعرفيّ لحركة الإنسان في الزمان التاريخي. وهو ما تظهره الآية: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النساء:٢٦.

وإذا كانت المعرفة البشرية قد وضعت فهمَ التاريخ وحركته ضمن جدالية الحرية والضرورة، فقد انطوت الآيات على قوانين مقدّرة في إطار السنن الإلهية الكلية التي لا تقبل التبديل والتحويل.

من أجل ذلك لاحظنا كيف أنّ الآيات تختزن المقاصد الإلهية في البيان والبرهان والتعليم والتنبيه والتبشير والإنذار. وهذه المراتب كلّها على الجملة تجتمع في المقصد الأعلى الذي هو الهداية بمكارم الأخلاق. وبهذا نستطيع فهم

الولاية الحافظة لأمر الله ووحيه وسُنّة نبيّه ﷺ ترعى من بعده تتميم مكارمِ الأخلاق التي بُعث من أجلها

مندرجات التدخّل الإلهي في تاريخ الخلق. وهو تدخّلٌ يقوم على الدعوة إلى إدراك الواقع بما هو واقع، مثلما يقوم على الحثّ الإلهي نحو تغيير هذا الواقع.

وقد يكون الوجه الأكثر دلالةً وعُمقاً للتدخّل الإلهي هو الاعتناء والتدبير واللطف. فالدعوة الإلهية إلى التغيير التاريخي غير مقصورة على توفير عامل القوّة لدرء الفساد في الأرض، وإنّما أساساً على دعوة الإنسان إلى إجراء مراجعة أخلاقية معرفية في عالم المفاهيم والأفكار والثقافة التي يحملها. كما في قوله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ..﴾ الرعد:١١. وما ذاك إلّا لأنّ النقلة الحضارية من دائرة الفساد إلى فضاء العمران لا تبلغ غايتها من دون سياق تفكيري وسلوكي وأخلاقي يناسب ما قصدته الآية الكريمة: ﴿..إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد:٧، كما لو أنّ ثمّة تقابلاً شرطياً بين الانتصار لله والانتصار للخلق.

ولمّا كان الأمر كذلك، فإنّ مقتضى هذا التقابل الشرطي يكون في تحصيل التناسب بين إرادة الفاعل واستعداد القابل. وما ذاك أيضاً إلّا لأنّ التناسب والقيام على الصراط هو الذي يُنجز العروة الوثقى بين الربّ والعبد. فلو تعقّل العبدُ اجتماعَه وقانونَ الزمن الذي هو فيه، وعمل وفقاً لأحكام الشريعة المقدّسة، وكان من المتّقين، لقابَلَه الشارع الأعظم بالاستجابة، وسدّد أعمالَه، وأيّده بالنصر.

من أدعية الصباح للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام

..فَطَالَمَا عَوَّدْتَنِي الْحَسَنَ الْجَمِيلَ

إعداد: «شعائر»

من (مهج الدعوات) للسيد ابن طاوس قدس سره هذا الدعاء المرويّ عن الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليهما السلام في الصباح. أورد نصّه أيضاً الشيخ الطوسي في (مصباح المتهجّد) ضمن تعقيبات صلاة الفجر، والشيخ الكفعمي في (المصباح)، و(البلد الأمين). وفي (بحار الأنوار) عن الشيخ الطبرسي المفسّر «أنّ مَن دعا بهذا الدعاء إلى آخره في كلّ صباح، قضى الله سبحانه له سبعين حاجة من حوائج الدنيا والآخرة».

يَا كَبِيرَ كُلِّ كَبِيرٍ، يَا مَنْ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، يَا خَالِقَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ، يَا عِصْمَةَ الْخَائِفِ الْمُسْتَجِيرِ، يَا مُطْلِقَ الْمُكَبَّلِ الْأَسِيرِ، يَا رَازِقَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، يَا جَابِرَ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ، يَا رَاحِمَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، يَا نُورَ النُّورِ، يَا مُدَبِّرَ الْأُمُورِ، يَا بَاعِثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ، يَا شَافِيَ الصُّدُورِ، يَا جَاعِلَ الظِّلِّ وَالْحَرُورِ، يَا عَالِماً بِذَاتِ الصُّدُورِ، يَا مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَالنُّورِ وَالْفُرْقَانِ وَالزَّبُورِ، يَا مَنْ يُسَبِّحُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْإِبْكَارِ وَالظُّهُورِ.

يَا دَائِمَ الثَّبَاتِ، يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، يَا مُحْيِيَ الْأَمْوَاتِ، يَا مُنْشِئَ الْعِظَامِ الدَّارِسَاتِ، يَا سَامِعَ الصَّوْتِ، يَا سَابِقَ الْفَوْتِ، يَا كَاسِيَ الْعِظَامِ الْبَالِيَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شُغُلٌ عَنْ شُغُلٍ، يَا مَنْ لَا يَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، يَا مَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَجَشُّمِ حَرَكَةٍ وَلَا انْتِقَالٍ، يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، يَا مَنْ لَا يُحِيطُ بِهِ مَوْضِعٌ وَلَا مَكَانٌ، يَا مَنْ يَرُدُّ بِأَلْطَفِ الصَّدَقَةِ وَالدُّعَاءِ مِنْ أَعْنَانِ السَّمَاءِ مَا حَتَمَ وَأَبْرَمَ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، يَا مَنْ يَجْعَلُ الشِّفَاءَ فِيمَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، يَا مَنْ يُمْسِكُ الرَّمَقَ مِنَ الْمُدْنِفِ الْعَمِيدِ الْعَلِيلِ* بِمَا قَلَّ مِنَ الْغِذَاءِ، يَا مَنْ يُزِيلُ بِأَدْنَى الدَّوَاءِ مَا غَلُظَ مِنَ الدَّاءِ، يَا مَنْ إِذَا وَعَدَ وَفَى وَإِذَا تَوَعَّدَ عَفَا.

يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ، يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا فِي ضَمِيرِ الصَّامِتِينَ، يَا عَظِيمَ الْخَطَرِ، يَا كَرِيمَ الظَّفَرِ، يَا مَنْ لَهُ وَجْهٌ لَا يَبْلَى، يَا مَنْ لَهُ مُلْكٌ لَا يَفْنَى، يَا مَنْ لَهُ نُورٌ لَا يُطْفَأُ، يَا مَنْ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَمْرُهُ، يَا مَنْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ سُلْطَانُهُ، يَا مَنْ فِي جَهَنَّمَ سَخَطُهُ، يَا مَنْ فِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ، يَا مَنْ مَوَاعِيدُهُ صَادِقَةٌ، يَا مَنْ أَيَادِيهِ فَاضِلَةٌ، يَا مَنْ رَحْمَتُهُ وَاسِعَةٌ.

يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى وَخَلْقُهُ بِالْمَنْزِلِ الْأَدْنَى، يَا رَبَّ الْأَرْوَاحِ الْفَانِيَةِ، يَا رَبَّ الْأَجْسَادِ الْبَالِيَةِ، يَا أَبْصَرَ النَّاظِرِينَ، يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ، يَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، يَا أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا وَاهِبَ الْعَطَايَا، يَا مُطْلِقَ الْأُسَارَى، يَا رَبَّ الْعِزَّةِ، يَا أَهْلَ التَّقْوَى وَأَهْلَ الْمَغْفِرَةِ، يَا مَنْ لَا يُدْرَكُ أَمَدُهُ، يَا مَنْ لَا يُحْصَى عَدَدُهُ، يَا مَنْ لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ.

أَشْهَدُ وَالشَّهَادَةُ لِي رِفْعَةٌ وَعُدَّةٌ، وَهِيَ مِنِّي سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، وَبِهَا أَرْجُو الْمَفَازَةَ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ عَنْكَ وَأَدَّى مَا كَانَ وَاجِباً عَلَيْهِ لَكَ، وَأَنَّكَ تُعْطِي دَائِماً وَتَرْزُقُ (وَتُعْطِي) وَتَمْنَعُ وَتَرْفَعُ وَتَضَعُ وَتُغْنِي وَتُفْقِرُ وَتَخْذُلُ وَتَنْصُرُ وَتَعْفُو وَتَرْحَمُ وَتَصْفَحُ وَتَجَاوَزُ عَمَّا تَعْلَمُ، وَلَا تَجُورُ وَلَا تَظْلِمُ، وَأَنَّكَ تَقْبِضُ وَتَبْسُطُ وَتَمْحُو وَتُثْبِتُ وَتُبْدِئُ وَتُعِيدُ وَتُحْيِي وَتُمِيتُ، وَأَنْتَ حَيٌّ لَا تَمُوتُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ، فَطَالَمَا عَوَّدْتَنِي الْحَسَنَ الْجَمِيلَ، وَأَعْطَيْتَنِي الْكَثِيرَ الْجَزِيلَ، وَسَتَرْتَ عَلَيَّ الْقَبِيحَ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعَجِّلْ فَرَجِي، وَأَقِلْ عَثْرَتِي، وَارْحَمْ عَبْرَتِي، وَارْدُدْنِي إِلَى أَفْضَلِ عَادَاتِكَ عِنْدِي، وَاسْتَقْبِلْ بِي صِحَّةً مِنْ سُقْمِي، وَسَعَةً مِنْ عَدَمِي، وَسَلَامَةً شَامِلَةً فِي بَدَنِي، وَبَصِيرَةً نَافِذَةً فِي دِينِي، وَمَهِّدْنِي وَأَعِنِّي عَلَى اسْتِغْفَارِكَ وَاسْتِقَالَتِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْنَى الْأَجَلُ وَيَنْقَطِعَ الْأَمَلُ، وَأَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَوَحْشَتِهِ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ، وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ. وَأَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْعَمَلِ قَبْلَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ، وَقُوَّةً فِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاسْتِعْمَالَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِمَّا عَلَّمْتَنِي وَفَهِّمْتَنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الْجَلِيلُ وَأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَنَا يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَصَلِّ عَلَى مَنْ بِهِ فَهَّمْتَنَا وَهُوَ أَقْرَبُ وَسَائِلِنَا إِلَيْكَ رَبَّنَا، مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعِتْرَتِهِ الطَّاهِرِين.

* الدَّنِف: ككَتِف – مَن لازمه مرضُه. والعميد: الموجَع المفدَح بالمرض

معنى نَفي المشاهدة في عصر الغيبة الكبرى

جولة في آراء العلماء

الشيخ حسين كوراني

هل يمكننا أن نرى الإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه الشريف في عصر الغيبة الكبرى؟ أم أنّ ذلك ممتنعٌ نظراً لما جاء في التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة بواسطة آخر السفراء الأربعة عليّ بن محمد السمّريّ؟

هذه المقالة المختصرة عن كتاب (حول رؤية المهديّ المنتظر عجل الله فرجه الشريف) للشيخ حسين كوراني تجيب عن هذا السؤال.

روى الشيخ الصدوق وغيره أنّ السّمريّ، آخر السفراء الأربعة عليهم الرحمة والرضوان، أخرج إلى الناس توقيعاً هذا نصّه:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّد السُّمَرِيّ، أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ، وَلَا تُوصِ إِلَى أَحَدٍ يَقُومُ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ الثَّانِيَة، فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الأَمَدِ، وَقَسْوةِ الْقُلوبِ، وَامْتِلَاءِ الأَرْضِ جَوْراً، وَسَيَأْتِي شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشَاهَدَة، أَلَا فَمَنِ ادَّعَى الْمُشَاهَدَة قَبْلَ خُرُوجِ السُّفيَانِيّ والصَّيْحَةِ فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيم».

لا شكّ في أنّ النيابة الخاصة أمرٌ انتهى بانتهاء الغيبة الصغرى، وكلّ رواية تنفي إمكان الرؤية والمشاهدة في عصر الغيبة الكبرى ينبغي حملها على نفي هذا النوع من المشاهدة المقترنة بنيابة خاصّة، وقد صرّح بهذا جمعٌ من كبار العلماء رضوان الله عليهم، وتدلّ نصوصهم بكلّ وضوح على أنّ التشرّف بلقائه عليه السلام ممكن، بل صرّح أكثرهم بوقوعه. وإليك جانباً من أقوالهم:

١ – السيّد الشريف المرتضى (٣٥٥ – ٤٣٦ هـ): قال عليه الرحمة: «إنّه غير ممتنع أن يكون الإمام عليه السلام يظهر لبعض أوليائه ممّن لا يخشى من جهته شيئاً من أسباب الخوف، فإنّ هذا ما لا يمكن القطع على ارتفاعه وامتناعه.. ».

٢ – صاحب (كنز الفوائد) الشيخ الكراجكي (ت: ٤٤٩ هـ): قال رحمه الله في معرض بيان الفائدة من وجود الإمام رغم غيبته: «ولسنا مع ذلك نقطع على أنّ الإمام عليه السلام لا يعرفه أحد، ولا يصير (يصل) إليه، بل قد يجوز أن يجتمع به طائفة من أوليائه تستر اجتماعها به وتخفيه».

٣ – الشيخ الطوسي (٣٨٥ – ٤٦٠ هـ): قال عليه الرحمة: «وما ينبغي أن يقال في الجواب هو أنّنا لا نقطع على استتاره عن جميع أوليائه، بل يجوز أن يظهر لأكثرهم».

* وفي معرض الحديث عن ظهوره عليه السلام قال رحمه الله: «إنّ الأعداء، وإن حالوا بينه وبين الظهور على وجه التصرّف والتدبير، فلم يحولوا بينه وبين لقاء مَن شاء مِن أوليائه على سبيل الاختصاص..».

٤ – السيد ابن طاوس (٥٨٩ – ٦٦٤ هـ): يقول في (رسالة المواسعة والمضايقة): «وسمعتُ من شخص لا أذكر اسمه عن مواصلة بينه وبين مولانا المهديّ صلوات الله عليه. ولو كان يسوّغ نقلها لبلغت عدة كراريس، وهي تدلّ على وجوده المقدّس وحياته ومعجزته».

* وأبرز ما في هذا المجال أنّه ينقل قصة شخص رأى الإمام عليه السلام، وأرسله الإمام إليه (أي إلى السيّد ابن طاوس). بل صرّح السيّد نفسه بسماع صوت الإمام عليه السلام، فقال في (مهج الدعوات): «وكنت أنا بسرّ مَن رأى فسمعت سحراً دعاءه عليه السلام، فحفظت منه عليه السلام من الدعاء لَمن ذكره من الأحياء والأموات: **وَابْعَثْهُم فِي عِزِّنَا وَمُلْكِنَا، وَسُلْطَانِنَا وَدَوْلَتِنَا.** وكان ذلك في ليلة الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وستمائة».

وهذه التصريحات والتلويحات من السيد رحمه الله، تؤيّد ما يُذكر من أنّه أكثر علمائنا الأبرار تشرّفاً بلقاء بقيّة الله في الأرضين عليه صلوات الله تعالى، يليه في ذلك السيّد بحر العلوم رحمهما الله تعالى.

٥ – العلامة الحلّي (٦٤٨ – ٧٢٥): بين قصص اللقاء، قصة تشرّف العلامة الحلّي برؤية الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ويروي هذه القصّة العالم الجليل التنكابني في كتابه القيّم (قصص العلماء) عن العالم الشيخ اللاهيجي عن أستاذه، أنّه رأى القصّة بخط العلامة الحلّي في نسخة كانت له من كتاب (التهذيب) للشيخ الطوسي، وقد دوّن العلّامة هذه القصة على هامش رواية كان الإمام عليه السلام قد حدّد له مكانها من كتاب (التهذيب).

٦- صاحب (المعالم) الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني عليهما الرحمة (٩٥٩ - ١٠١١ هـ): أورد المحدّث النوري عليه الرحمة نقلاً عن (الدرّ المنثور) ما يلي: «سمعت من بعض مشايخنا وغيرهم أنّه لمّا حجّ كان يقول لأصحابه: نرجو من الله سبحانه أن نرى صاحب الأمر عليه السلام، فإنّه يحجّ في كلّ سنة..».

٧- الحرّ العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ): أورد في كتابه (إثبات الهداة) القصة التي يتحدّث فيها عن رؤيته صاحب الأمر بين النوم واليقظة، ثمّ قال بعد إيراد عدّة قصص مشابهة: «وقد أخبرني جماعة من ثقات الأصحاب أنّهم رأوا صاحب الأمر في اليقظة وشاهدوا منه معجزات «..» وأخبرَهم بعدّة مغيّبات ودعا لهم ".." وأنجاهم من أخطارٍ مُهلِكات ".." وكلّها من أوضح المعجزات».

٨- الشيخ أبو الحسن بن معتوق بن عبد الحميد الفتوني النباطي العاملي (ت: ١١٤٠ هـ): وهو جدّ صاحب (الجواهر) وتلميذ المجلسي الأول. قال المحدّث صاحب (المستدرك) ما ترجمته: يقول في كتاب (ضياء العالمين) بعد أن ينقل بعض قصص من شاهد الإمام المنتظر: «المنقولات المعتبرة في رؤية صاحب الأمر عليه السلام غير ما ذكر كثير، حتّى في هذه الأزمنة القريبة، وقد سمعت من الثقات أنّ مولانا الأردبيلي رآه عليه السلام في جامع الكوفة، وسأله مسائل، وأنّ مولانا محمد تقي والد شيخنا رآه عليه السلام في الجامع العتيق بأصفهان».

٩- السيّد بحر العلوم (١١٥٥ - ١٢١٢ هـ): في معرض حديثه عن التوقيعات التي خرجت من الناحية المقدسة إلى الشيخ المفيد، قال السيّد عليه الرحمة والرضوان: «وقد يشكل أمر هذا التوقيع بوقوعه في الغيبة الكبرى مع جهالة حال المبلّغ ودعواه المشاهدة المنفيّة بعد الغيبة الكبرى، ويمكن دفعه باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن، واشتمال التوقيع على الملاحم والإخبار عن الغَيب الذي لا يطّلع عليه إلّا الله وأولياؤه بإظهاره لهم، وأنّ المشاهدة المنفيّة أن يشاهد الإمام، ويعلم أنّه الحجّة عليه السلام حال مشاهدته له، ولم يُعلم من المبلّغ ادّعاؤه لذلك».

١٠ - السيد محسن الأمين رحمه الله (١٢٨٤ - ١٣٧٣ هـ): قال عليه الرحمة: «وقد جاءت أحاديث دالّة على عدم إمكان الرؤية في الغيبة الكبرى، وحُكيت رؤيته عليه السلام عن كثيرين في الغيبة الكبرى، ويمكن الجمع بحمل نفي الرؤية على رؤية من يدّعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه، على مثال السفراء أو بغير ذلك».

***

هذه أقوال بعض كبار علمائنا الأبرار في مسألة الرؤية، وهي تكاد تغطّي الفترة الممتدة من القرن الرابع حتى القرن الرابع عشر الهجري، وما هي إلّا جانب ممّا يجده المتتبّع في هذا المجال، بل يمكن الجزم بالإجماع على إمكان الرؤية ووقوعها.

ولم أجد أحداً من العلماء يتبنّى القول بعدم إمكان رؤيته عليه السلام، وليس من الصحيح أبداً أن يُدرس توقيع السّمّري رحمه الله، بمعزل عن هذه الحقيقة التي تلتقي عندها كلمات العلماء الأعلام، فهم رغم علمهم به يصرّحون بإمكان اللقاء أو وقوعه.

يُمكن الجزم بوجود الإجماع على إمكان الرؤية ووقوعها، ولا أحدَ من العلماء يتبنّى القول بعدم إمكان رؤيته عليه السلام

صلاةُ المودِّع

السيّد ابن طاوس قدس سره

ورد في الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، أنّ من لوازم المحافظة على الصلاة الفريضة أداؤها مشفقاً من خوفِ ألّا يوفّق لمثلها مجدّداً، فلا يستثقل الدخول فيها ولا يستعجل الخروج منها.

هذا النصّ من كتاب (فلاح السائل) لسيّد العلماء المراقبين السيّد ابن طاوس قدّس سرّه يتناول هذه الفكرة بشيء من التفصيل.

من مهمّات الذي يريد صلاةَ الفريضة أن يصلّيها صلاة مودِّعٍ خائفٍ على أنّه لا يقدر على مثلها، مغتنماً شرف محلّها وتُحف فضلها. قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**يَا عَبْدَ اللهِ، إذا صَلَّيتَ صَلاةَ فَرِيضَةٍ فَصَلِّها لِوَقتِها صَلاةَ مُوَدِّعٍ يَخافُ أن لا يَعودَ إلَيها أبدًا**..».

ومن مهمّات الذي يريد الصلاة ألّا يدخلها كارهاً ويخرج عنها مستقيلاً، فإنّ الله جلَّ جلاله يقول عن بعض مَن خَيَّب آمالهم ومحى إقبالهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد:٩.

ومن جملة ما أنزل الله جلَّ جلاله ذِكرَ الصلاة، فلا تكن من الكارهين فتكون من الهالكين. وإيّاك أن تقبل قول مَن يقول لك إنّها تكليف، والتكليف ثقيل على القلوب. فإنّ هذا القول بعيد من رضى علّام الغيوب. أيقول هو جلَّ جلاله: ﴿..حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ الحجرات:٧، فتردّ أنت عليه هذا القول المقدّس الصريح وتقول – بهتاناً – بخلاف ذلك؟!

يريد منك الله جلّ جلاله أن تحبّه، وتدّعي أنّك قد أحببته، ومع ذلك تكره خدمته والتقرّب إليه! فهل يصحّ في العقل أن يستثقل المُحبّ العمل في طلب رضا محبوبه، أو يكره شيئاً ممّا يقرّبه إليه؟ وقد ورد النقل مزكّياً للعقل في ما أشرتُ إليه، فمن ذلك ما رُوي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**مَا أَحَبَّ اللهَ مَنْ عَصَاهُ**».

ومن ذلك أيضاً ما رُوي عنه عليه السلام في رجلَين يزعمان أنّهما من محبّيه، ولم يمتثلا لبعض ما أمرهما به مراراً، فقال الصادق عليه السلام فيهما: «.. **فَوَاللهِ لَكُثَيِّرُ عَزَّةَ أَصْدَقُ فِي مَوَدَّتِهِ مِنْهُمَا فِيمَا يَنْتَحِلَانِ مِنْ مَوَدَّتِي.. أَمَا وَاللهِ لَوْ أَحَبَّانِي لأَحَبَّا مَنْ أُحِبُّ**».

فإيّاك والمغالطة بالمعاذير الباطلة التي لا تنفعك عند مَن يعلم السرائر إذا حاسبك عليها، وأنت قائم بين يديه مكشوف الرأس بمحضر الأوّلين والآخرين.

وأمّا استقالتك منها بطلب تعجيل الخروج عنها.. ليت شعري إلى أين تخرج؟ هل تستقيل من سعادتك لتخرج إلى غفلتك وشقاوتك؟

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**إِذَا قَامَ الْعَبْدُ فِي الصَّلَاةِ فَخَفَّفَ صَلَاتَه، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: أَمَا تَرَوْنَ إِلَى عَبْدِي كَأَنَّه يَرَى أَنَّ قَضَاءَ حَوَائِجِه بِيَدِ غَيْرِي، أَمَا يَعْلَمُ أَنَّ قَضَاءَ حَوَائِجِه بِيَدِي؟**».

وعنه عليه السلام: « **واللهِ إِنَّه لَيَأْتِي عَلَى الرَّجُلِ خَمْسُونَ سَنَةً ومَا قَبِلَ اللهُ مِنْه صَلَاةً وَاحِدَةً، فَأَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا؟**..».

فإذا سلِم العبد من هذه الأخطار وكان عبداً مؤمناً مصدّقاً سليم القلب، ذاكراً أنّه بين يدي مالكٍ عزيزٍ عظيم، قد أخجلَه بكثرة المراحم والمكارم والمبارّ، فيوشك أن يكون حاله عند الصلاة كما رُوي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ: إِذَا قَامَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فِي صَلَاتِه نَظَرَ اللهُ إِلَيْه.. حَتَّى يَنْصَرِف، وأَظَلَّتْه الرَّحْمَةُ مِنْ فَوْقِ رَأْسِه إِلَى أُفُقِ السَّمَاءِ** «..» **ووَكَّلَ اللهُ بِه مَلَكاً قَائِماً عَلَى رَأْسِه، يَقُولُ لَه: أَيُّهَا الْمُصَلِّي لَوْ تَعْلَمُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ومَنْ تُنَاجِي مَا الْتَفَتَّ ولَا زِلْتَ مِنْ مَوْضِعِكَ أَبَداً**».

(بتصرّف)

خيرُ الأبواب

أذكار وأدعية موجزة لدفع الهموم

القطب الراوندي رحمه الله

لا يزال الذاكر محلّ عناية الله تعالى، بل مذكورٌ عنده عزَّ وجلَّ في ملأٍ خيرٍ من ملئه.
من كتاب (الدعوات - سلوة الحزين) للقطب الراوندي، بعض الأذكار والدعوات الموجزة الواردة عن أهل بيت النبوّة عليهم الصلاة والسلام، لدفع الهموم والغموم.

* عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قالَ لِي جَبْرَئِيلُ عَلَيهِ السَّلام: أَلَا أُعَلِّمُكَ الكَلِماتِ الَّتِي قَالَهُنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام حِينَ انْفَلَقَ لَهُ البَحْرُ؟ قالَ: قُلْتُ: بَلَى.

قالَ: قُلْ: (اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ وإِلَيْكَ المُشْتَكَى وَبِكَ المُسْتَغَاثُ، وَأَنْتَ المُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ).

* وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: مَا أَصَابَ عَبْداً هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُك وابْنُ عَبْدِك وابْنُ أَمَتِك، نَاصِيَتِي بِيَدِك، مَاضٍ فِيّ حُكْمُك، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُك، أَسْأَلُك بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَك، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِك، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِك، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَك، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي)، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ، وأَنْزَلَ مَكَانَهُ فَرَجاً.

يَا بُنَيَّ احفظْ عنّي..

* عن الإمام زين العابدين عليه السلام، قال: ضَمَّنِي والِدِي عَلَيه السَّلامُ إِلى صَدْرِهِ يَوْمَ قُتِل، والدِّماءُ تَغْلِي، وَهُوَ يَقُولُ: يا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي دُعاءً عَلَّمَتْنِيهِ فاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلامُ، وَعَلَّمَها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلَّمَهُ جَبْرَئِيلُ عليهِ السَّلام، فِي الْحاجَةِ، وَالْمُهِمِّ، وَالْغَمِّ، وَالنّازِلَةِ إِذا نَزَلَتْ، وَالأَمْرِ الْعَظِيمِ الْفادِحِ، قال: ادْعُ:

(بِحَقِّ يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، وَبِحَقِّ طه وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، يا مَنْ يَقْدِرُ عَلى حَوائِجِ السَّائِلِينَ، يا مَنْ يَعْلَمُ ما فِي الضَّمِيرِ، يا مُنَفِّسُ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، يا مُفَرِّجُ عَنِ الْمَغْمُومِينَ، يا راحِمَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، يا رازِقَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، يا مَنْ لا يَحْتاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْعَلْ بِي كَذا وَكَذا).

خيرُ الأبواب

* رُوي أنّ الإمام زين العابدين عليه السَّلام مَرَّ بِرَجُلٍ وهو قاعدٌ على بابِ رجلٍ، فقال له: مَا يُقعِدُكَ على بابِ هَذا المُتْرَف الجَبَّار؟

فقال: البلاء.

قال: قُمْ فَأُرْشِدكَ إلى بابٍ خيرٍ من بابِه، وإلى ربٍّ خَيْرٍ لكَ منه.

فأخَذَ بِيَدِهِ حَتّى انْتَهَى بِهِ إلى المَسْجِدِ، مَسْجِد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، ثمَّ قال: اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ وَصَلِّ رَكْعَتَيْن، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَيْكَ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَثْنِ على اللهِ، وَصَلِّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ ادْعُ بِآخِرِ (الحَشْر)، وَسِتِّ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ (الحَدِيد)، وبِالآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي (آل عِمْران) [١٨-١٩؛٢٦-٢٧]، ثُمَّ سَلِ اللهَ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاكَ.

الدعاء الذي يُجاب

* عن أبي حمزة الثماليّ، ثابت بن دينار أنه سأل الإمام زين العابدين عليه السلام أن يعلّمه دعاءً، فقال عليه السلام:

يَا ثابِتُ، قُلْ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاواتِ والأَرْضِ ذُو الجَلالِ والإِكْرامِ أَنْ تَفْعَلَ بِي كذا وكذا).

ثمّ قالَ عليه السلام: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ: هُوَ الدُّعاءُ الّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى.

حوار حول عقيدة الخاتميّة مع المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني

الدِّين الخاتم كمالُ التوحيد الإبراهيميّ

إعداد: «شعائر»

أسئلة كثيرة تثار حول الخاتميّة بين آنٍ وآخر، وهي تتراوح بين سؤالٍ قرآنيّ، أو فلسفيّ، أو فقهيّ. هذا الحوار لآية الله الشيخ جعفر السبحاني يتضمّن إجابات جامعة على عددٍ من هذه الأسئلة وما يتفرّع عنها من استفهامات تتعلّق بالكيفيات التي ينظِّم فيها الدين الخاتم شؤون البشرية، وخصوصاً في مجال الاجتماع، والاقتصاد، والثقافة، والتنوّع الحضاري والديني.

في ما يلي جزء من الحوار - الذي هو عبارة عن أسئلة كثيرة التداول طرحها الشيخ سبحاني وأجاب عنها - وقد أدرجه سماحته في ملحق كتابه القيّم (أضواء على عقائد الشيعة الإمامية).

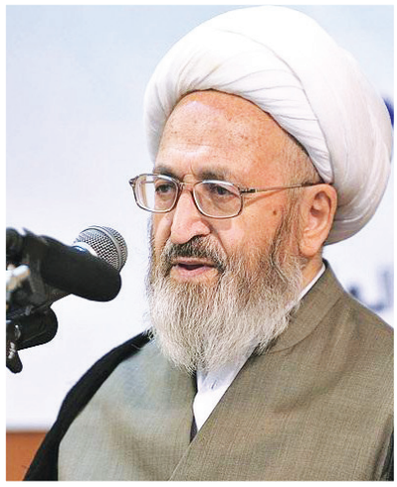

*** كيف تكون الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع، والقرآن الكريم ينصّ على أنّ المؤمنين بالله وباليوم الآخر من جميع الشرائع ناجون، شأنهم شأن من اعترف بالإسلام؟**

ج: إن استنتاج بقاء شرعية الشرائع السماوية من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة:٦٢، ومن الآيات المشابهة لها مبنيٌّ على غضّ النظر عمّا تهدف إليه الآيات، وذلك أنّ الآيات بصدد ردّ مزاعم ثلاثة كانت اليهود تتبنّاها، لا بصدد بيان بقاء شرائعهم بعد بعثة الرسول الأكرم ﷺ. والمزاعم المشار إليها هي:

١) كانت اليهود والنصارى يستولون على المسلمين، بل العالم، بادّعائهم فكرة «الشعب المختار». بل إنّ كل واحدة من هاتين الطائفتين: اليهود والنصارى، كانت تدّعي أنها أرقى أنواع البشر، وكانت اليهود أكثرهم تمسّكاً بهذا الزعم، وقد نقل عنهم سبحانه قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ..﴾ المائدة:١٨، وقد بلغت أنانية اليهود واستعلاؤهم الزائف حدّاً بالغاً وكأنّهم قد أخذوا على الله عهداً بأن يستخلصهم ويختارهم، حيث قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً..﴾ البقرة:٨٠.

٢) وقد كانت اليهود والنصارى تبنّان وراء فكرة «الشعب المختار» فكرة أخرى، وهي: أنّ الجنّة نصيب كلّ مَن ينتسب إلى بني إسرائيل أو يسمَّى مسيحياً ليس إلّا، وكأنّ الأسماء والانتساب مفاتيح للجنة، قال سبحانه ناقلاً عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ..﴾ البقرة:١١١، ولكنّ القرآن يرد عليهم ويقول: ﴿..تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة:١١١-١١٢؛ فإنّ قوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ..﴾، يعني الإيمان الخالص، وقوله: ﴿..وَهُوَ مُحْسِنٌ..﴾، يعني العمل وفق ذلك الإيمان، وكلتا الجملتين تدلّان على أنّ السبيل الوحيد إلى النجاة يوم القيامة هو الإيمان والعمل، لا الانتساب إلى اليهودية والنصرانية.

٣) قولهم إنّ الهداية في اعتناق اليهودية والنصرانية، وهذا الزعم غير الزعم الثاني، ففي الثاني كانوا يقتصرون في النجاة بالانتماء إلى الأسماء، وفي الأخير يتصوّرون أنّ الهداية الحقيقية تنحصر

في اعتناق اليهودية والنصرانية: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ..﴾ البقرة:١٣٥، والقرآن الكريم يردّ هذه الفكرة كما سبق، ويقول إنّ الهداية الحقيقية تنحصر في الاقتداء بملّة إبراهيم واعتناق مذهبه في التوحيد الخالص الذي أُمر الأنبياء بإشاعته بين أُممهم، قال سبحانه: ﴿..قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة:١٣٥.

نستخلص من كلّ هذه الآيات أنّ اليهود والمسيحيّين، وبخاصة القدامى منهم كانوا يحاولون - بهذه الأفكار الواهية - التفوّق على البشر، والتمرّد على تعاليم الله سبحانه، والتخلّص بصورة خاصة من الانضواء تحت لواء الإسلام، مرّةً بافتعال أكذوبة «الشعب المختار» الذي لا ينبغي أن يخضع لأيّ تكليف، ومرّةً أخرى بافتعال خرافة «الأسماء والانتساب» وادّعاء النجاة بسبب ذلك، والحصول على مغفرة الله وجنته وثوابه، ومرّة ثالثة بتخصيص «الهداية» وحصرها في الانتساب إلى إحدى الطائفتين، بينما نجد أنّه كلّما مرّ القرآن على ذكر هذه المزاعم الخرافية أعلن بكل صراحة وتأكيد: أنّه لا فرق بين إنسانٍ وآخر إلا بتقوى الله، فإنّ ﴿..أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ..﴾ الحجرات:١٣.

وأمّا النجاة والجنة فمِن نصيب مَن يؤمن بالله، ويعمل بأوامره دونما نقصان لا غير، وهو بهذا يقصد تفنيد مزاعم اليهود والنصارى الجوفاء..

*** الأنبيّاء على قسمين: منهم مَن كان صاحب شريعة، ومنهم من كان مبلّغاً لشريعة مَن قبله من الأنبياء، كأكثر أنبيّاء بني إسرائيل. فإذا خُتم باب النبوّة التشريعية لكون الشريعة الإسلامية متكاملة، فلماذا خُتم باب النبوّة التبليغية؟**

ج: إنّ الأمة الإسلامية غنيّة عن هذا النوع من النبوّة، وذلك لوجهَين:

الأول: أنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ترك بين الأمّة الكتاب والعترة وعرّفهما إليها، وقال إنّ الأمّة لن تضلّ ما دامت متمسّكة بهما. فإذا كانت الهداية تكمن في التمسّك بهما، فالأمّة الإسلاميّة في غنى عن المهمّة التبليغية، إذ مهمّتها موجَدة بالتمسّك بهما؛ فالعترة الطاهرة مشاعل الحق، ومنارات التوحيد، أغنتْ الأمّة علومهم وتوجيهاتهم عن بعث نبيٍّ يبلّغُ رسالات الله، وهذا إجمال الكلام في أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والتفصيل موكول إلى محلّه.

الثاني: أنّ علماء الأمّة المأمورين بالتبليغ بعد التفقّه، أغنوا الأمة عن أي نبوّة تبليغية، قال سبحانه: ﴿..فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة:١٢٢، وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ..﴾ آل عمران:١٠٤.

*** لماذا حُرم الخلَف من المكاشفة الغيبيّة والاتّصال بعالم الغيب واستطلاع ما هناك من المعارف والحقائق؟**

ج: إنّ الفتوحات الغيبية من المكاشفات والمشاهدات الروحية لم يُوصَد بابها، وإنّما أُوصد باب خاصّ وهو باب النبوّة الذي يحمل الوحي التشريعي أو التبليغي. قال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ

علومُ أهل البيت عليهم السلام وتوجيهاتهم أغنَت الأمّة عن النبوّة التبليغية السائدة في الأمم السابقة

﴿ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ فصلت:٥٣.

فالفتوحات الباطنية من المكاشفات والإلقاءات في الرَّوع غير مسدودة بنص الكتاب العزيز، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا..﴾ الأنفال:٢٩، أي يجعل في قلوبكم نوراً تفرّقون به بين الحقّ والباطل، وتميّزون به بين الصحيح والزائف، لا بالبرهنة والاستدلال، بل بالشهود والمكاشفة، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الحديد:٢٨.

*** حاجةُ المجتمع إلى تشريعات جديدة تتزايد يوماً بعد يوم، وما بلَغَنا من تشريع لا يجاوز قوانين محدودة، فكيف تَفي النصوص المحدودة بالحوادث الطارئة غير المتناهية؟**

ج: إنّ خلود التشريع وبقاءه في جميع الأجيال ومسايرته الحضارات الإنسانية، واستغناءه عن كلّ تشريع سواه، يتوقّف على وجود أمرين فيه:

الأوّل: أن يكون التشريع ذا مادة حيوية خلّاقة للتفاصيل، بحيث يقدر معها علماء الأمّة والمختصّون منهم على استنباط كلّ حكم يحتاج إليه المجتمع البشري في كلّ عصرٍ من الأعصار.

الثاني: أن ينظر إلى الكون والمجتمع بسعةٍ وانطلاق، مع مرونة خاصة تساير جميع الأزمنة والأجيال، وتساير الحضارات الإنسانية المتعاقبة، وقد أحرز التشريع الإسلامي كِلا الأمرين.

أمّا الأول فقد أحرزه بتنفيذ أمور:

أ) الاعتراف بحجيّة العقل في مجالات خاصة: فإنّ من سمات التشريع الإسلامي التي يمتاز بها عن سائر التشريعات هي إدخال العقل في دائرة التشريع، والاعتراف بحجّيته في الموارد التي يصلح له التدخل والقضاء فيها، فالعقل أحد الحجج الشرعية، وفي مصافّ المصادر الأخرى للتشريع، وقد فتح هذا الاعتراف للتشريع الإسلامي سعةً وانطلاقاً وشمولاً لِما يتجدّد من الأحداث، ولِما يطرأ من الأوضاع الاجتماعية الجديدة.

ب) إنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد عند العدلية: فإنّ مَن

سماحة السيّد القائد الخامنئي مستقبلاً آية الله الشيخ جعفر السبحاني

أمعن في الكتاب والسنّة يقف على أنّ التشريع الإسلامي تابع لملاكات، فلا واجب إلّا لمصلحة في فعله، ولا حرام إلّا لمفسدة في اقترافه، ويشهد بذلك كتاب الله في موارد. يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ المائدة:٩١، فالآية تعلّل حرمة الخبيثَين باستتباعهما العداوة والبغضاء وصدّهما عن ذكر الله.

فإذا كانت الأحكام تابعة لمصالح ومفاسد في الموضوع، فالغاية المتوخّاة من تشريعها إنما هي الوصول إليها، أو التحرّز عنها، وبما أنّ المصالح والمفاسد ليست على وزانٍ واحد، بل رُبّ واجب يسوّغ في طريق إحرازه اقتراف بعض المحارم، لاشتماله على مصلحة كبيرة لا يجوز تركها أصلاً، ورُبّ حرامٍ ذي مفسدة كبيرة، لا يجوز اقترافه، وإن استلزم ترك الواجب أو الواجبات.

ج) إنّ التشريع الإسلامي في مختلف الأبواب مشتمل على أصول وقواعد عامّة تفي باستنباط آلاف من الفروع التي يحتاج إليها المجتمع البشري على امتداد القرون والأجيال. أخرج الكليني عن عمر بن قيس، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول: «**إنَّ الله تَبارَكَ وتَعالَى لَمْ يَدَعْ شَيْئاً تَحْتاجُ إلَيْهِ الأُمَّةُ إلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ إلَّا أَنْزَلَه فِي كِتابِه، وبَيَّنَه لِرَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً وجَعَلَ عَلَيْه دَلِيلاً يَدُلُّ عَلَيْه، وجَعَلَ عَلَى مَنْ تَعَدَّى الْحَدَّ حَدّاً**».

د) وممّا أضفى على التشريع الإسلامي خلوداً وغضاضة وشمولية وإغناء عن موائد الأجانب، فتح باب الاجتهاد فيما تحتاج إليه

الأمّة في حياتها الفردية والاجتماعية، ومَن أقفله في الأدوار السابقة قطع الأمّة الإسلامية عن مواكبة التطور والحضارة، ومن ثمّ جعل التشريع الإسلامي ناقصاً غير كامل لما تحتاج إليه الأمّة.

هـ) ومن الأسباب الباعثة على بقاء الدين وكونه مادّة حيوية صالحة لحلّ المشاكل والمعضلات الطارئة، كون الحاكم الإسلامي بعد النبيّ والأئمّة ممثّلاً لقيادتهم الحكيمة في أمور الدين والدنيا، التي من شأنها أن توجّه المجتمع البشري إلى أرقى المستويات الحضارية، فقد فتحت لمثل هذا الحاكم الصلاحيات المؤدّية إلى حقّ التصرّف في كلّ ما يراه ذا مصلحة للأمّة في إطار القوانين العامة، لأنّه يتمتع بمثل ما يتمتع به النبيّ والإمام من النفوذ المطلق إلّا ما كان من خصائص النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم.

أمّا الأمر الثاني: إنّ الذي فتح للتشريع الإسلامي خلوداً وغناء عن سائر التشريعات هو مرونة أحكامه التي تساير جميع الأزمنة والحضارات، وقد تمثّلت هذه المرونة بأمور:

أ) كونه جامعاً بين الدعوة إلى المادّة والروح، إذ غالت المسيحية في التوجّه إلى الناحية الروحية، فدعت إلى الرهبانيّة والتعزّب، وغالت اليهودية في الدعوة إلى ملاذّ الحياة والانكباب على المادة حتّى نسيت كلّ قيمة روحية، فالإسلام دعا إلى المادية والمعنوية على وجهٍ يطابق الفطرة الإنسانية، وجعل الفطرة مقياساً للحلال والحرام، وشرّع للإنسان ما يسعده في الدنيا والآخرة على ما هو مفصّل في محله.

ب) الإسلام ينظر إلى المعاني والحقائق لا الظواهر والقشور، فيأمر بالأخذ باللّبّ لا بالقشر، وهذا هو السرّ في خاتمية الدين الإسلامي وسيره مع تطوّر الحياة، ولا يُتوهّم من ذلك جواز التدخل في التشريع بحجّة الأخذ باللبّ دون القشر، فإنّ الكبريات الواردة في الكتاب والسنّة كلّها لبّ، وأمّا القشر فإنما يرجع إلى التخطيط والتجسيد..

ج) من الأسباب الموجبة لمرونة هذا الدين وانطباقه على جميع الحضارات الإنسانية، تشريعُه القوانين الخاصّة التي لها دور التحديد والرقابة بالنسبة إلى عامّة تشريعاته، وقد اصطلح عليها الفقهاء بـ«الأدلّة الحاكمة»، لأجل حكومتها وتقدّمها على كلّ حُكمٍ ثبتَ لموضوعٍ بما هو هو، فهذه القوانين الحاكمة، تعطي لهذا الدين مرونة يماشي لبّها كلّ حضارة إنسانية.

مثلاً قوله سبحانه: ﴿..وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..﴾ الحج:٧٨، حاكمٌ على كلّ تشريع استلزم العمل به حَرَجاً لا يُتحمَّل عادةً للمكلّف، فهو مرفوعٌ في الظروف الحَرِجَة.

ومثله قوله صلّى الله عليه وآله: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»، فكلّ حكمٍ استتبع العملُ به ضرراً شديداً، فهو مرفوعٌ في تلك الشرائط، وقِسْ عليهما غيرهما من القوانين الحاكمة.

نعم تشخيص الحاكم عن المحكوم، وما يرجع إلى العمل بالحاكم من الشرائط، يحتاج إلى الدقة والإمعان والتفقّه والاجتهاد..

من أسباب خلود التشريع الإسلامي وتقدّمه على الحضارات البشرية المتعاقبة كونه ذا مادة حيوية خلّاقة للتفاصيل، ونظرته إلى الكون بسعة وشمول

«الأدلّة الحاكمة» هي من أسباب مرونة التشريع الإسلامي، ويُراد بها القوانين الخاصّة التي لها دور الرقابة على عامّة التشريعات

التقرّب إلى الله تعالى بالفرائض والنوافل

إجماعُ المسلمين على فضيلة التعبّد بالمستحبّات

العلامة المجلسي رحمه الله

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا رَبِّ، مَا حَالُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَكَ؟

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ، وَأَنَا أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلَى نُصْرَةِ أَوْلِيَائِي.

ومَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُه كَتَرَدُّدِي عَنْ وَفَاةِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَه المَوْتَ وأَكْرَه مَسَاءَتَه.

وإِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُه إِلَّا الْغِنَى، ولَوْ صَرَفْتُه إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَهَلَكَ. وإِنَّ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُه إِلَّا الفَقْرُ، ولَوْ صَرَفْتُه إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَهَلَكَ.

ومَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه، وإِنَّه لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ - إِذاً - سَمْعَه الَّذِي يَسْمَعُ بِه، وبَصَرَه الَّذِي يُبْصِرُ بِه، ولِسَانَه الَّذِي يَنْطِقُ بِه، ويَدَه الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُه وإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُه».

هذا الحديث هو الثامن من (باب من آذى المسلمين واحتقرهم)، في الجزء الثاني من (أصول الكافي)، للشيخ الكليني، وقد صحّحه العلّامة المجلسي في (مرآة العقول: ج ١٠/ ص ٣٨٩) فقال: «الحديث الثامن: صحيح. وقال الشيخ بهاء الدين العاملي برّد الله مضجعَه: هذا الحديث صحيحُ السند، وهو من الأحاديث المشهورة بين الخاصّة والعامة، وقد رَووه في صحاحهم بأدنى تغيير».

هذا المقال هو شرح فقرات من هذا الحديث الشريف، ضمّنه العلّامة المجلسي آراء كبار العلماء والمحقّقين.

* «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ»: أُسري - بالبناء - للمفعول من السُّرى على وزن هُدى، وهو السير في الليل. وأما تقييده بالليل في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ..﴾ الإسراء:١، فللدلالة بتنكير الليل على تقليل مدّة الإسراء، مع أنّ المسافة بين المسجدين مسير أربعين ليلة.

* «مَا حَالُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَكَ؟»: أي ما قدْره ومنزلته؟

* «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ»: المراد بالوليّ المحبّ، وبالمبارزة بالمحاربة إظهارها والتصدّي لها.

* «ومَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُه»: نسبة التردّد إليه سبحانه يحتاج إلى التأويل، وفيه وجوه:

الأوّل: أنّ في الكلام إضماراً، والتقدير لو جاز عليَّ التردّد ما تردّدت في شيء كتردّدي في وفاة المؤمن.

الثاني: المراد به والله أعلم: ليس لشيءٍ من مخلوقاتي عندي قدر وحرمة كقدر عبدي المؤمن وحرمته، فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية.

الثالث: يمكن أن يكون التردّد إشارة إلى المحو والإثبات في لوحهما، فإنّه يُكتب أجلُهُ في زمانٍ وآنٍ فيدعو لتأخيره أو يتصدّق فيمحو الله ذلك ويؤخّره إلى وقت آخر، فهو يشبه فعل المتردّد، أطلق عليه التردّد على وجه الاستعارة، هذا بحسب ما ورد في (لسان الشريعة).

* «يَكْرَه الْمَوْتَ وأَكْرَه مَسَاءَتَه»: جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنّ سائلاً يسأل ما سبب التردد؟ فأُجيب بذلك.

قال الشيخ بهاء الدين العاملي روّح الله روحه: «قد يُتوهّم المنافاة بين ما دلّ عليه هذا الحديث وأمثاله من أنّ المؤمن الخاصّ يكره الموت ويرغب في الحياة، وبين ما ورد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَه، ومَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَه)، فإنّه يدلّ بظاهره على أنّ المؤمن الحقيقي لا يكره الموت بل يرغب فيه، كما نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: (والله لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّه)، وأنّه قال حين ضربه ابن ملجم عليه اللعنة: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَة».

وقد أجاب عنه شيخنا الشهيد في (الذكرى)، فقال: «إنّ حبّ لقاء الله غير مقيّد بوقت، فيحمل على حال الاحتضار ومعاينة ما يحبّ، كما روينا عن الصادق عليه السلام، ورووه في (الصحاح) عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، أنّه قال: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَه، ومَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَه.

قيل: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَنَكْرَه الْمَوْتَ؟

فقالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْه مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وإِنَّ الكَافِرَ إِذا احْتُضِرَهُ (حضرَه الموتُ) يُبَشَّرُ بِعَذابِ اللهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ فَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ».

كشفُ الحُجُب عن القلب بالنّوافل

* «وإِنَّه لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّه»: النوافل جميع الأفعال غير الواجبة، وأمّا تخصيصها بالصلوات المندوبة فعُرفٌ طار، ومعنى محبّة الله سبحانه للعبد هو كشفُ الحجاب عن قلبه وتمكينه من أن يطأ على بساط قربه، فإنّ ما يوصف به سبحانه إنّما يؤخَذ باعتبار الغايات لا باعتبار المبادئ، وعلامة حبّه سبحانه للعبد توفيقه للتجافي عن دار الغرور والترقّي إلى عالم النور، والأنس بالله والوحشة عمّا سواه، وصيرورة جميع الهموم همّاً واحداً. قال بعض العارفين: «إذا أردتَ أنْ تعرفَ مَقامَكَ فَانْظُرْ فِيما أَقَامَك».

* «فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ سَمْعَه الَّذِي يَسْمَعُ بِه» إلخ: تمسّك بعض الصوفية والاتحادية والحلولية والملاحدة بظواهر تلك العبارات، وأعرضوا عن بواطن هذه الاستعارات فضلّوا وأضلّوا، مع أنّ عقل جميع أرباب العقول يحكم باستحالة اتّخاذ شيء مع أشياء كثيرة متباينة الحقائق مختلفة الآثار، وأيضاً ما ذكروه من الكفر الصريح لا اختصاصَ له بالمحبّين والعارفين، بل يحكمون باتّحاده تعالى بجميع أصناف الموجودات، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

فهذه الأخبار نافية لمذاهبهم الفاسدة الخبيثة لا مثبِتة لها، ولها عند أهل الإيمان وأصحاب البيان وأرباب اللسان معانٍ واضحة ظاهرة تقبلها الأذهان، ومبنيّة على مجازات واستعارات

إذا تقرّب العبد إلى الله بالنوافل أحبّه الله؛ فإذا أحبَّه جذبه إلى محلّ أُنسه، وصيّر فكرَه مستغرقاً في أنوار الملكوت، إلى أن يغفل عن نفسه فيتلاشى في نظره الأغيار

متى تجرّد العارف من شهواته وإرادته، وفوّض جميع أموره إلى الحقّ، يصير الربّ سبحانه متصرِّفاً في عقله وقلبه وقواه، فيريد الأشياء بمشيئة مولاه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ..﴾

شائعة في الحديث والقرآن، ومشتملة على نكات بليغة استحسنها أرباب المعاني، ولا تنافي عقائد أهل الإيمان، وهي كثيرة نومئ هنا إلى بعضها.

الأول: ما ذكره الشيخ بهاء الدين قدس سرّه حيث قال: «لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات سَنيّة وإشارات سرّية وتلويحات ذوقية تعطّر مشام الأرواح وتُحيي رميم الأشباح، لا يهتدي إلى معناها ولا يطّلع على مغزاها إلا مَن أتعب بدنه في الرياضات وعنى نفسه بالمجاهدات حتى ذاق مشربهم وعرف مطلبهم، وأمّا مَن لم يفهم تلك الرموز ولم يهتدِ إلى هاتيك الكنوز لعكوفه على الحظوظ الدنيّة وانهماكه في اللذات البدنية، فهو عند سماع تلك الكلمات على خطرٍ عظيمٍ من التردّي في غياهب الإلحاد، والوقوع في مهاوي الحلول والاتّحاد، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ونحن نتكلّم في هذا المقام بما يسهل تناوله على الأفهام. فنقول: هذا مبالغة في القرب وبيانٌ لاستيلاء سلطان المحبّة على ظاهر العبد وباطنه وسرّه وعلانيته.

فالمراد والله أعلم: أنّي إذا أحببتُ عبدي جذبتُه إلى محلّ الأنس، وصرفتُه إلى عالم القُدس، وصيَّرتُ فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت، وحواسّه مقصورةً على اجتلاء أنوار الجبروت، فيثبت حينئذٍ في مقام القرب قدمُه، ويمتزج بالمحبّة لحمُه ودمُه، إلى أن يغيب عن نفسه ويذهلَ عن حسّه، فيتلاشى الأغيارُ في نظره، حتّى أكون له بمنزلة سمعه وبصره، كما قال مَن قال:

جُنُونـي فيكَ لا يَخْفَـى ... وَنارِي مِنْكَ لَا تَخْبُو
فَأَنْتَ السَّمْعُ والإبْصَارُ ... والأرْكَـانُ والقَلْـبُ».

الثاني: قيل إنّ المعنى هو أنّي إذا أحببته كنتُ كَسمعه وبصره في سرعة الإجابة. فقوله: «**إنْ دَعَانِي أَجَبْتُه**» إشارة إلى وجه التشبيه، يعني أنّي أجيبه سريعاً إن دعاني إلى مقاصده كما يجيبه سمعه عند إرادته سماع المسموعات، وبصره عند إرادته أبصار المبصرات. وهذا مثل قول الناس المعروف بينهم: فلانٌ عيني ونورُ بصري ويدي وعضُدي، وإنّما يريدون به التشبيه في معنًى من المعاني المناسبة للمقام، ويسمّون هذا تشبيهاً بليغاً بحذف الأداة، مثل: زيدٌ أسد.

الثالث: أنّ المعنى أنّه تعالى هو المطلوب لهذا العبد عند سمعه للمسموعات وبصره للمبصرات وهكذا، يعني منّي يسمع المسموعات وبها يرجع إليّ، والمقصود أنّه يبتدئ بي في سماع المسموعات وينتهي إليّ، فلا يصرف شيئاً من جوارحه فيما ليس فيه رضاي، كما في الحديث: «**ما رأيتُ شيئاً إلّا وَرَأيتُ اللهَ قَبلَهُ أو بعدَهُ أو مَعَهُ**». وعلى هذا يرجع الحمل إلى المبالغة في السببية أو الغائية، ويؤيّده ما ورد في رواية أخرى: «**فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَمْشِي وَبِي يَنْطِقُ**».

الرابع: أنّه لكثرة تخلّقه بأخلاق ربّه ووفور حبّه لجناب قدسه، تخلّى عن محبّته وإرادته، فلا يسمع إلّا ما يحبّه تعالى، ولا ينظر إلّا إلى ما يحبّه تعالى، ولا يبطش إلّا إلى ما يوصل إلى قربه سبحانه، وقريبٌ منه ما قيل: «لا يسمعُ إلّا بِحَقٍّ وإلى حَقٍّ، ولا يَنْظُرُ إلَّا بِحَقٍّ وإلى حَقٍّ، ولا يَبْطِشُ إلَّا بِإذْنِ الحَقِّ، ولا يَمْشِي إلَّا إلى مَا يَرْضَى بِهِ الحَقُّ، وهُو المُحِقُّ الوَلِيّ والمُؤمِنُ حقّاً، الّذي انزاحَ عَنْهُ كُلُّ بَاطِلٍ وَصَارَ واقِفاً مَع الحَقِّ»، وهو قريبٌ من الوجه الثالث.

الخامس: ما ظهر لي في بعض المقامات وهو أظهرُ عندي من سائر الوجوه، وتفصيله يحتاج إلى بسطٍ وسيعٍ في الكلام لا يسَعُه هذا المقام، ومحصّله أنّه سبحانه أَودَع في بدن الإنسان وقلبه وروحه قوًى ضعيفة هي في معرض الانحلال والاختلال والانقضاء والفناء، فإذا اكتفى بها وصرفها في شهوات النفس والهوى تفنى كلّها، ولا يبقى معه شيءٌ منها ومن ثمراتها إلّا الحسرة والندامة، وإذا استعملها في طاعة ربّه وصرفها في طاعة محبوبة أبدله الله خيراً منها، وأقوى وأبقى تكون معه في الدنيا والعقبى، لقوله تعالى: ﴿..لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ..﴾ إبراهيم:٧. فمنها قوّة السمع؛ إذا بذلها في طاعة النفس والشيطان وما يُلهي عن الرحمن، بطل سمعهم الروحانيّ، وهذا السمع الجسمانيّ في معرض الفناء، ولذا قال سبحانه فيهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان:٤٤. فهم صمٌّ بكمٌ عميٌ في الدنيا

والآخرة، فمَثَلهم ﴿..كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً..﴾ البقرة:١٧١، فهم في الدنيا أيضاً كذلك، فإذا بطل بالموت حسُّهم لم يبقَ لهم إلا الضلال والوبال. وإذا صرفها في طاعة ربّه أبدله الله سمعاً كاملاً روحانياً لا يذهب بالصَّمَم ولا بالموت، فهو يسمعُ كلام الملائكة ويُصغي إلى خطاب الربّ تعالى في الآخرة والأولى، ويفهم كلام الله وكلام الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فما منحَه الله تعالى من سمعٍ قلبيّ روحانيّ لا يضعفُ بضعف البدن ولا يذهبُ بالموت، وبه يسمع في القبر الخطابَ ويعدّ الجواب، ويناديهم الحبيب كما نادى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أهل القليب.

وكذا أودع الله سبحانه حسّاً ضعيفاً في البصر؛ فإذا صرفه في مشتهيات نفسه ذهب الله بنوره وأعمى عين قلبه فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً، وإذا بذله في طاعة ربّه نوَّر الله عين قلبه وأعطى بصره نوراً أعلى وأقوى، به ينظر إلى الملكوت الأعلى، ويتوسّم في وجوه الخلق ما لا يعرف غيره، ويرى الملائكة الروحانيين كما قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**اتّقُوا فراسةَ المُؤمِن، فإنّهُ يَنظُرُ بِنُورِ الله**»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر:٧٥.

وكذا قوّة البطش البدنية، إذا صرفها في طاعة الله وقُربه ونهكَها بالرياضات الحقّة، أعطاه الله قوّةً روحانية لا تضعف بالأمراض، ولا تذهبُ بالموت، فيها يقدر على التصرّف في عالم المُلك والملكوت، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ بِقُوّةٍ جِسْمَانِيَّةٍ بَلْ بِقُوَّةٍ رَبَّانِيّة**».

وكذا النطق إذا صدق فيه وكان موافقاً لعمله ومصادفاً لرضى ربه، فتح الله به ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

فظهر – ممّا تقدّم – معنى قوله سبحانه: «**كُنْتُ سَمْعَه الَّذِي يَسْمَعُ بِه..**»، وغير ذلك على ألطف الوجوه لمَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

السادس: ما هو أرفع وأوقع وأحلى وأدقّ وألطف وأخفى ممّا مضى، وهو أنّ العارف لمّا تخلّى من شهواته وإرادته، وتجلّى محبّة الحقّ على عقله وروحه ومسامعه ومشاعره، وفوَّض جميع أموره إليه، وسلَّم ورضيَ بكلّ ما قضى ربُّه عليه، يصير الربّ سبحانه متصرّفاً في عقله وقلبه وقواه، ويدبّر أموره على ما يحبّه ويرضاه، فيريد الأشياء بمشيئة مولاه، كما قال سبحانه مخاطباً لهم: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ..﴾ الإنسان:٣٠، كما ورد في تأويل هذه الآية في غوامض الأخبار عن معادن الحكم والأسرار والأئمّة الأخيار. ورُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**قَلْبُ المؤمِن بين إِصْبَعَيْنِ من أَصابِع الرَّحمَن، يُقَلِّبُها كَيْفَ يَشَاءُ**».

وكذلك يتصرّف ربّه الأعلى منه في سائر الجوارح والقوى، كما قال سبحانه مخاطباً لنبيّه المصطفى: ﴿..وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ..﴾ الأنفال:١٧، وقال تعالى: ﴿إِنَّ

علامةُ حبّ الله سبحانه للمتقرّب إليه بالنوافل توفيقُه للتجافي عن دار الغرور، والأنس بالله والوحشة عمّا سواه، وصيرورةُ جميع همومه همّاً واحداً

أودع الله سبحانه في الإنسان حسّاً ضعيفاً في البصر؛ فإذا صرفه في مشتهيات نفسه ذهب الله بنوره وأعمى عين قلبه، وإذا بذله في طاعة ربّه نوَّر الله عين قلبه وأعطى بصره نوراً أقوى؛ به ينظر إلى الملكوت الأعلى.. وهكذا سائر الجوارح

﴿ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ..﴾ الفتح:١٠، فلذلك صارت طاعتُهم طاعةَ الله، ومخالفتُهم مخالفةً لله تعالى، فاتّضح بذلك معنى قوله تعالى: كنتُ سمعَه وبصره، وأنّه به يسمع ويُبصر، فكذا سائر المشاعر تدرك بنوره وتنويره، وسائر الجوارح تتحرّك بتيسيره وتدبيره، كما قال تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ الليل:٧.

وقريبٌ منه ما ذكره الحكماء في اتّصال النفس بالعقول المفارقة، والأنوار المجرّدة على زعمهم، حيث قالوا: «قد تصير النفس لشدّة اتّصالها بالعقل الفعّال، بحيث يصير العقل بمنزلة الروح للنفس، والنفس بمنزلة البدن للعقل، فيلاحظ المعقولات في لوح العقل ويدبّر العقل نفسه كتدبير النفس للبدن، ولذا يظهر منه الغرائب التي يعجز عنها سائر الناس كإحياء الموتى، وشقّ القمر، وأمثالهما».

قال (صاحب الشجرة الإلهية) الفيض الكاشاني: «كما أنّ النفس في حال التعلّق بالبدن تتوهّم أنّها هي البدن، أو أنّها فيه وإن لم تكن هو ولا فيه، فكذلك النفس الكاملة إذا فارقت البدن وقطعت تعلّقها من شدّة قوّتها ونوريّتها وعلاقتها العشقيّة مع نور الأنوار والأنوار العقليّة، تتوهّم أنّها هي، فتصير الأنوار مظاهر النفوس المفارقة كما كانت الأبدان أيضاً، فهذا هو معنى الاتّحاد، لا بمعنى صيرورة الشيئين شيئاً واحداً، فإنّه باطل».

وما ذكرنا أوفق بالكتاب والسنّة وأنسب بالحقّ ومصطلحات أهله، ولا يتوقّف على إثبات ما نَفَتْه الشريعة من العقول المفارقة القديمة وغيرها، وكثيراً ما يشتبه الحقّ بالباطل كما اشتبه على كثيرٍ من الأوائل.

قال المحقّق نصير الدين الطوسي قدّس الله روحه القدوسيّ: «العارف إذا انقطع عن نفسه واتّصل بالحقّ رأى كلّ قدرةٍ مستغرقة في قدرته تعالى المتعلّقة بجميع المقدورات، وكلّ علم مستغرقاً في علمه الذي لا يَعزُبُ عنه شيء من الموجودات، وكلّ إرادة مستغرقة في إرادته التي لا يتأبّى عنها شيء من الممكنات، بل كلّ وجودٍ وكلّ كمالِ وجودٍ فهو صادرٌ عنه فائضٌ من لدنه. فصار الحقّ حينئذٍ بصره الذي يُبصر به، وسمعه الذي به يسمع، وقدرته التي بها يفعل، وعلمه الذي به يعلم، وَجُودَه الذي به يَجود، فصار العارف حينئذ متخلّقاً بأخلاق الله في الحقيقة».

وقال بعض المحقّقين في شرح هذا الخبر أيضاً: «معنى محبّة الله كشفُه الحجاب عن قلبه وتمكينه إيّاه من قربه، ومعنى المحبّة من العبد ميلُ نفسه إلى الشيء لكمال إدراكه فيه بحيث يحملها على ما يقرّبها إليه، فإذا علم العبد أنّ الكمال الحقيقيّ ليس إلّا لله، وأنّ كلّ ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله، لم يكن حبّه إلّا لله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقرّبه إليه، واتّباعه مَن كان وسيلةً له إلى معرفته ومحبّته. قال الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ..﴾ آل عمران:٣١، فإنّ بمتابعة الرسول في عبادته وسيرته وأخلاقه وأحواله ونوافله، يحصل القرب إلى الله، وبالقرب يحصل محبّة الله إيّاه».

وقال بعضهم: «إذا تجلّى الله سبحانه بذاته لأحدٍ، يرى كلّ الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعّة ذاته وصفاته وأفعاله، ويجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنّها مدبَّرة لها وهي أعضاؤها ولا يلمّ بواحد منها شيء إلّا ويراه ملمّاً به، ويرى ذاته الذات الواحدة، وصفته صفتها، وفعله فعلها، لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد، وليس للإنسان وراء هذه الرتبة مقامٌ في التوحيد.

ولمّا انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات، استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة، وارتفع التميّز بين القِدَم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحقّ.

وقيل: إلى هذا المعنى يشير ما ورد في الحديث النبويّ: (**عَلِيٌّ مَمْسُوسٌ فِي ذَاتِ اللهِ**)، ولعل هذا هو السرّ في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان وأمثالها».

وأقول: الاكتفاء بما أسلفنا وأومأنا، وترْك الخوض في تلك المسالك الخطيرة أولى وأحوط وأحرى، والله الموفّق للهدى.

(بتصرّف)

الفقيهُ العارف الشيخ محمّد مهدي النَّراقي

مؤلّف كتاب (جامع السعادات)

تنسيق وإعداد: «هيئة التحرير»

* عالمٌ وَرِع، وفاضلٌ جامع، من أركان العلماء المتأخّرين، وأعيان الفضلاء المتبحّرين.
* صنّف في أكثر فنون العلم، مسلَّماً له في الفقه والحكمة والأصول.
* بعد فراغه من التحصيل توطّن كاشان - وكانت خالية من العلماء - وببركة أنفاسه صارت مملوءةً بهم، وصار مرجعاً، وقد برز في مجلس درسه جمعٌ من الأعلام.
* اقتُبست هذه الترجمة من تقديم العلّامة الشيخ محمد رضا المظفّر على كتاب (جامع السعادات) للمترجَم له.

وُلد الشيخ محمّد مهدي بن أبي ذرّ النَّراقيّ في «نراق»، وهي قرية من قرى كاشان ببلاد إيران. لم يُعرف تاريخ مولده إلّا من بعض المقارنات بين الوقائع، فيُظَنّ أن يكون وُلد عام ١١٢٨ هجريّ، أو قبل ذلك بقليل. أمّا وفاته فكانت سنة ١٢٠٩ هجريّة في مدينة النجف الأشرف، ودُفن فيها.

والده «أبو ذرّ النَّراقي» لا يُعرف عنه إلاّ كونه موظّفاً في الدولة بوظيفة متواضعة في قرية «نراق»، ولولا ابنه «محمّد مهدي» لَذهب ذِكره. ولا يُعلم ما إذا كان للشيخ إخوة، لكن له ولداً نابه الذِّكر هو المولى «أحمد النَّراقي» صاحب (مُستَنَد الشيعة) المشهور في الفقه، وصاحب التأليفات الثمينة، وهو أحد أقطاب العلماء في القرن الثالث عشر، وأحد أساتذة الشيخ الشهير مرتضى الأنصاريّ.

ولعلّ النراقي الابن - الشيخ أحمد - هو أهمّ أسباب شهرة والده وذيوع صيته؛ لِما كان له من اتّباع مساره العلمي، وحذوه حذو تأليفاته.. فالشيخ محمّد مهدي الأب ألّف (مُعتَمَد الشيعة)، والابن الشيخ أحمد ألّف (مُستَنَد الشيعة)، والأب ألّف في الأخلاق كتاب (جامع السعادات)، والابن ألّف (معراج السعادة)، والأب ألّف (مشكلات العلوم)، فيما ألّف ابنه (الخزائن).. وهكذا نسج الشيخ أحمد على منوال أبيه وأحكَمَ النسج، واشتهر هو، ثمّ به اشتهر والده المترجَم له الشيخ محمّد مهدي النراقيّ.

مؤسّس حوزة كاشان

عاش الشيخ النراقيّ كما يعيش عشرات الآلاف من أمثاله من طلاّب العلم، خاملَ الذِّكر فقير الحال، منزوياً في مدرسته لا يُعرف من حاله إلّا أنّه طالب من أهل كاشان مقيم في مدينة أصفهان لتحصيل العلوم الدينية. وكان لا يتّصل به إلّا أقرانه في دروسه، ولم يكن يهمُّهم شيء من شؤونه.. أمّا هو فكان يتردّد في دراسته العلميّة بين غرفته ومجالس الدرس، لا يُعرَف من حاله إلّا ملابسه الرثّة التي أَلِف الجميع منظرها، وهي تشير في الظاهر إلى فقره، وفي الباطن إلى زهده وعفّته وعزّة نفسه، إذ لم يتقبّل، بل لم يستطع أن يتقبّل صدقات الآخرين عليه.

هكذا كان النراقيّ في بداية حياته العلميّة، حيث لم يُعرف عنه تدريس أو اجتهاد أو تأليف. ثمّ أخذ بالدراسة جادّاً، حتّى بلغ شأواً دفعه إلى الانتقال إلى مدينة كربلاء المقدّسة ثمّ النجف الأشرف، فواصل دراسته العليا على يد الأعلام: الوحيد البهبهانيّ، والشيخ يوسف البحرانيّ صاحب (الحدائق الناضرة)، والمحقّق الشيخ مهدي الفتوني العاملي، حتّى إذا فرغ من

التحصيل هناك رجع إلى بلاده واستقرّ في مدينة كاشان، حيث أسّس فيها مركزاً علمياً يُهاجَر إليه، وحوزةً علميّة مرموقة بعد أن كانت كاشان مقفِرة من العلم والعلماء.. فزَهَت بالشيخ النراقيّ ومشاريعه الموفّقة، وجهوده المباركة في نشر علوم القرآن والسنّة الشريفة.

من أركان العلماء، وأعيان الفضلاء

* كتب الشيخ محمّد رضا المظفّر حول الشيخ محمّد مهدي النراقي يعرّفه، فقال فيه: «أحد أعلام المجتهدين في القرنَين: الثاني عشر والثالث عشر من الهجرة المباركة، ومن أصحاب التآليف القيّمة».

جبل في منطقة نراق مسقط رأس الشيخ النراقي

* وفي كتابه (روضات الجنّات) كتب الميرزا محمّد باقر الخونساريّ: «كان الشيخ النراقيّ من أركان علمائنا المتأخّرين، وأعيان فضلائنا المتبحّرين.. مصنّفاً في أكثر فنون العلم والكمال، مسلّماً في الفقه والحكمة والأصول والأعداد والأشكال [أي الرياضيات والهندسة]».

ولعلّ منزلته العلميّة تعود..إلى تفنّنه في دراسة العلوم وتدريسها، وعدم اقتصاره على بحوث الفقه والأُصول ومقدّماتهما، فقد شارك في العلوم الرياضيّة كالهندسة والحساب والنجوم.. ثمّ إنّه كان يمتلك أُسلوباً علميّاً خاصّاً في الإرشاد والتوجيه والبحث، إذ جانَبَ طغيان التصوّف من جهة، وعالج طغيان التحلّل الأخلاقي عند العامّة من جهة أُخرى، داعياً الناس إلى الاعتدال في السلوك والاستمداد من منابعه الشرعيّة. ولعلّ مكانة الشيخ النراقيّ تتّضح في بعض جوانبها من خلال مؤلّفاته المتعدّدة القيّمة.

مؤلّفاته

بلغت مؤلّفات الشيخ النراقيّ - حسبما وصل إلينا واشتهر- اثنين وثلاثين مؤلَّفاً، أهمّها:

* في الفقه:

١- (لَوامع الأحكام في فقه شريعة الإسلام): كتاب استدلاليّ مبسوط.

٢- (مُعتَمد الشيعة في أحكام الشريعة).

* في أصول الفقه:

١- (تجريد الأصول): يشتمل على جميع مسائل الأصول.

٢- (أنيس المجتهدين).

٣- (جامعة الأصول).

٤- (رسالة في الإجماع).

* في الحكمة والكلام:

١- (جامع الأفكار) في الإلهيّات.

٢- (شرح الشفاء): في الإلهيّات، والمتن لابن سينا.

٣- (الشهاب الثاقب): في الإمامة.

* في الرياضيّات:

١- (المستقصى): في علم النجوم.

٢- (المحصَّل).

٣- (توضيح الأشكال): في الهندسة، في شرح تحرير إقليدس الصوريّ.

٤- (شرح تحرير أكرثاذوسنيوس).

٥- (رسالة في علم عقود الأنامل).

* في الأخلاق والمواعظ:

١- (جامع السعادات): ثلاثة مجلّدات.

٢- (جامع المواعظ).

٣- (محرِّق القلوب): في مصائب آل البيت عليهم السّلام.

جامع سعادات الدنيا والآخرة بحقّ

بديهيّ أنّ الأخلاق لا تُكتسب بالتعلّم وقراءة الكتب وحسب، وإنّما هي صفات ومَلَكات تحصل بالمُجاهَدات النفسية والتربية المعنوية الطويلة، إلاّ أنّ المواعظ والإرشادات والمقالات الأخلاقيّة - بلا شك - تؤدّي دوراً كبيراً في مضمار توجيه الناس وتذكيرهم وتعليمهم وحثّهم على عمل الصالحات وترك الموبقات. ومن بين المؤلّفات النافعة في الأخلاق كتاب (جامع

السعادات) للشيخ محمّد مهدي النراقي، وقد امتاز بثلاث خصائص بارزة، هي:

الأُولى: اهتمام المؤلّف في بعض فصول الكتاب بعلم النفس وقوى النفس، والخير والشرّ والفضائل والرذائل، لا سيّما في الباب الأوّل.. حيث قسّم أبواب الكتاب وفصوله تقسيماً دقيقاً فاق فيه كتب الأخلاق السابقة من هذه الناحية.

الثانية: جمع المؤلّف في كتابه هذا - إضافة إلى الأمور العلميّة - جوانب روحيّة وفكريّة ونفسيّة وعقائديّة. فهو يخاطب العقل مرّة، والنفسَ مرّة أُخرى، والقلب مرّةً ثالثة، والروح رابعة.. وهكذا يثير الدفائن ويحرّك الأحاسيس ويوقظ الضمائر وينبّه الأفكار، فيدخل الكتاب إلى مراكز التأثير والتغيير، فيبدّل حال مَن يقرأ هذا الكتاب بإمعانٍ وانبساط.

الثالثة: يحسّ قارئ كتاب (جامع السعادات) أنّ هناك تأثيراً منعكساً من روحيّة المؤلّف نفسه. وفي هذا أكبر الأثر في اجتذاب قلوب الناس، لأنّ قلب الرجل الأخلاقيّ يبرز ظاهراً على قلمه في مؤلّفاته، وكذلك أخلاقه هي بالذات لها أثر في كلماته التي يطلقها أو يدوّنها. وقيمة هذا الكتاب متأتّية من الروح المؤمنة المتقيّة التي يقرأها القارئ في ثناياه، وهي أفضل بكثير من قيمته العلميّة.

وهذا هو السرّ في إقبال الناس عليه وفي اشتهاره أيضاً، في حين لا يزيد الكتاب من الناحية العلميّة كثيراً على الكتب الأخلاقيّة المتداولة التي لا يجد فيها القارئ ذلك الذوق وتلك الروحانيّة كما يجدها في (جامع السعادات). وقد نُقل عن الشيخ النراقيّ الكثير من النوادر والطرائف والقصص التي تحكي تواضعه وطيبة قلبه وأدبه الرفيع وأخلاقه المحمودة، فجاء كتابه في ما بعد يجمع لقارئه ومطبّقه سعادات الدنيا والآخرة، ويجمع لمؤلّفه كرامة الدنيا وحسن ثواب الآخرة، إذ هو «جامع السعادات» بحقّ.

من محاسن أخلاقه

تلاحظ قوّة شخصية الشيخ النراقي في صبره وقوة إرادته وتفانيه في طلب العلم، ثمّ عزّة نفسه، وإن كانت هذه ألفاظاً عامّة قد يعبَّر بها عن كثير من الناس، ويصحّ التعبير بها بلا كذب ولا خداع، إلّا أنّ الدرجة الخاصّة من الصبر والإرادة والحبّ والعزّة ونحوها التي بها يمتاز الشخص النابغ، تضيق اللغة عن التعبير عنها بخصوصها إلّا بهذه الألفاظ العامّة الدارجة.

* فممّا يُنقل عنه: أنّه كان فقيرَ الحال شديد الفاقة أيّام تحصيله الدراسيّ، حتّى أنّه لَيعجز عن تدبير ثمن السِّراج الذي هو من زيت أو شمع في ذلك العصر، فيدعوه حرصه على العلم إلى المطالعة ليلاً في ممرّات المدرسة ودهاليزها، وتأبى عليه عزّته أن يدَعَ غيرَه يشعر به وبحاله.

* ونُقل أيضاً: أنّ أحد الكسبة - وكان حانوته في طريق المدرسة العلميّة بكاشان حيث كان النراقي يسكن فيها - قد لاحظ على هذا الطالب رثاثة ثيابه، وكان معجَباً بأخلاقه وسَمْته حينما كان يشتري منه بعض ما يحتاج كسائر الطلاب. فرأى هذا الكاسب أن يكسوه تقرّباً إلى الله تعالى، فهيّأ له ثياباً تليق بشأنه وقدّمها له عندما اجتاز من أمامه، فلم يقبل النراقيّ ذلك إلاّ بعد إلحاح،

مقام علي بن الإمام الباقر ﷺ بالقرب من «نراق»

ولكنّه عاد في اليوم الثاني إلى الكاسب وأرجع إليه الثياب قائلاً: إنّي لمّا لبستها لاحظتُ على نفسي ضَعةً لا أُطيقها، لا سيّما حينما اجتاز عليك، فلم أجد نفسي تتحمّل هذا الشعور الثقيل. ثمّ أرجعها إليه شاكراً.

* ونُقل كذلك: أنّه لم يسافر إلى خارج أصفهان موطن دراسته؛ لانشغاله بطلب العلم، إلاّ بعد أن أخبره أُستاذه إسماعيل الخاجوئيّ بمقتل أبيه (أبي ذرّ النراقيّ). وكان عازفاً عن حطام الدنيا، فلم يمكث في «نَراق» إلّا ثلاثة إيّام، بعدها عاد إلى أصفهان على بُعد الشقّة وكثرة المشقّة يومذاك.

* وكما عُرف الشيخ النراقيّ بغزارة العلم، عُرف أيضاً بدماثة الأخلاق وحسن المعاشرة، فكان حليماً طيّب النفس متواضعاً متسامحاً غاضّاً طَرْفه عن إساءات الآخرين إليه، وبذلك ترجم ما كتبه إلى سلوك حياتيّ.

عصر الشيخ النراقي

يمضي القرن الثاني عشر للهجرة على الحوزات العلمية الشيعية في إيران والعراق وتطغى فيه ظاهرتان جديدتان:

الأولى: النزعة الصوفية.

والثانية: النزعة الإخبارية.

وهذه الأخيرة خاصّة ظهرت في ذلك القرن قوية مسيطرة على التفكير الدراسي، وتدعو إلى نفسها بصراحة لا تردّد فيها. وليس في أيدينا من المصادر ما يكفي للجزم بأسباب ذلك. وأغلب الظن أنّ أهمّ الأسباب التي نستطيع الوثوق بها هي الوضع السياسي والاجتماعي اللّذان آلت إليه البلاد الإسلامية في ذلك القرن، من نحو التفكّك واختلال الأمن في جميع أطراف البلاد، والحروب الطاحنة بين الأمراء والدول، لا سيّما بين الحكومتين الإيرانية والعثمانية، وبين الإيرانية والأفغانية، تلك الحروب التي اصطبغت على الأكثر بصبغة مذهبية. وهذا كلّه ممّا يسبّب البلبلة في الأفكار والاتجاهات، وضعف الروح العامّة المعنوية، ويدعو العلماء إلى الزهد المغالي في جميع شؤون الحياة، واليأس من الإصلاح. فتنشأ هنا نزعة التصوّف، وتتخّذ يومئذٍ صرحاً علمياً على أنقاض الفلسفة الإشراقية الإسلامية المطاردة المكبوتة، التي سبق أن دعا لها أنصار أقوياء، كالمولى صدر الدين الشيرازي المتوفى عام ١٠٥٠ وأتباعه، مع المغالاة في أفكارها. وساند طريقة التصوّف مبدئياً أنّ السلطة الزمنية في إيران – وهي (سلطة الصفويّين) – قامت على أساس الدعوة إلى التصوّف، وظلّت تؤيّدها وتمدّها سرّاً.

ومن جهةٍ أخرى يحدث ردّ فعل لهذا المنحى، فيلتجأ إلى تفسير التعبّد بما جاء به الشارع المقدّس بمعنى الاقتصار على الأخبار الواردة في الكتب الموثوق بها في كلّ شيء، والجمود على ظواهرها. ثم يدّعي هؤلاء أنّ كلّ تلك الأخبار مقطوعة الصدور. ثم يقولون بعدم الأخذ بظواهر القرآن وحده، من دون الرجوع إلى الأخبار الواردة. ثمّ ضربوا بعد ذلك علم الأصول عرض الجدار، بادّعاء أنّ مبانيه كلها عقلية لا تستند إلى الأخبار، والعقل أبداً لا يجوز الركونُ إليه في كلّ شيء، ثم يُنكرون الاجتهاد وجواز التقليد. وهكذا تنشأ فكرة الإخبارية الحديثة التي أوّل من دعا إليها أو غالى في الدعوة إليها المولى أمين الدين الأسترآبادي المتوفّى ١٠٣٣. ثمّ يظهر آخر شخص لهذه النزعة له مكانته العلمية المحترمة في الفقه هو الشيخ يوسف البحراني (صاحب الحدائق) المتقدّم ذكره، والذي كاد أن يتمّ على يديه تحوّل الاتّجاه الفكري بين طلّاب العلم في كربلاء، وإن كان أكثر اعتدالاً من المولى الأسترآبادي.

وعندما وصلت هذه الفكرة الإخبارية إلى أوجها، ظهر في كربلاء علم الأعلام الشيخ الوحيد البهبهاني، الذي قيل عنه بحقّ: «مُجدِّد المذهب على رأس المائة الثالثة عشرة». فإنّ هذا العالم الجليل كان لبقاً مفوّهاً ومجاهداً خبيراً، فقد ردّ على الإخباريّة بمؤلّفاته، وبمحاججاته الشفوية مع علمائها – وقد نقل في بعض (فوائده الحائريّة) ورسائله نماذج منها – وبدروسه القيّمة التي كان يلقيها على تلامذته الكثيرين الذين التفّوا حوله، وعلى يديه كان ابتداء تطوّر علم الأصول الحديث، وخروجه عن جموده الذي ألِفه عدّة قرون، واتّجه التفكير العلمي إلى ناحية جديدة غير مألوفة. وتخرّج على يديه جماعة كبيرة من أعلام الأمّة، كبحر العلوم، وكاشف الغطاء، والمحقّق القمّي، والشيخ النراقي – المترجم له – وأشباههم.

فيبرز الشيخ النراقي في عنفوان النقاش بين المدرستين الإخباريّة والأصولية، وساحتها كربلاء، وفي عنفوان معركة الدعوة إلى التصوّف، وساحتها أصفهان على الأكثر، فيكون أحد أبطال هاتين المعركتين الذين رفعوا راية الجهاد بمؤلّفاته وتدريسه، وساعده على ذلك أنّه كان متفنّناً في دراسة العلوم، ولم يقتصر على الفقه والأصول ومقدّماتهما، فقد شارك العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة، وله مؤلّفات فيها. كما درس الفلسفة، ويظهر أثر تضلّعه في الفلسفة في كتابه (جامع السعادات)، لا سيّما في الباب الأول، وفي تقسيمه لأبواب الكتاب وفصوله على أساسٍ علميٍّ متقن برز فيه على كتب الأخلاق السابقة عليه من هذه الناحية.

وفاته

توفي آية الله الشيخ محمد مهدي النراقي رضوان الله تعالى عليه في النجف الأشرف، سنة ١٢٠٩ هجريّة، ودُفن فيها عن عمرٍ يقارب الثمانين عاماً. وكان قد حضر إليها للزيارة برفقه ولده أحمد الذي بقي ليدرس على كبار الأعلام، كالسيّد بحر العلوم، والشيخ كاشف الغطاء.

مكانة الإنسان في نظام العلاقات الاجتماعية

الشهيد السيّد محمّد باقر الحكيم* رحمه الله

يمثّل نظام العلاقات الاجتماعية العامة أحد الأركان الأساسية والدعائم المهمة التي يقوم عليها المجتمع الإنساني في النظرية الإسلامية.

ونريد بنظام العلاقات الاجتماعية مجموعة الحدود والموازين والضوابط التي يعبّر الإنسان من خلالها عن فهمه للحياة الاجتماعية الإنسانية، ومسؤوليته التضامنية تجاه الجماعة وتكاملها. وبذلك يمثل نظام العلاقات الاجتماعية القاعدة الأساس التي يُمكن أن تستقر عليها سائر الأنظمة التي تتولّد من العقود والالتزامات الخاصّة؛ كالزواج والعقود التجارية ونحوهما.

ثم إنّ النظام الاجتماعي يعبّر عن رؤية أخلاقية للسلوك الاجتماعي، وفهم عقائدي للكون والحياة والانسان والمبدأ والمعاد، ولعلّ هذا هو الذي يفسّر لنا تناول هذا الجانب من النظام في بحث الأخلاق والمصنّفات الأخلاقية.

هذا وقد جعل الإسلام «**الإيمان**» إطاراً للعلاقة الاجتماعية بين المسلمين، لكنه لم يغفل، في الوقت نفسه، الجانب الإنساني العامّ في هذه العلاقة، أي علاقة الإنسان بنظيره الإنسان الآخر، وهو قد أخذها بعين الاعتبار في مجمل تصوّره النظريّ؛ كما يُمكن أن يُفهم ذلك من قول أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «**وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ، ولَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**».

وهذا أمرٌ واضح من خلال ما ورد من الحثّ على حُسن الخُلُق مع الناس جميعاً، ما يعني أنّ الأصل هو الاحتفاظ بالعلاقة الاجتماعيّة على المستوى الإنساني ما لم تطرأ أوضاع استثنائيّة تفرض موقفاً آخر كالبراءة أو القطيعة.

ويؤكّد ذلك موقف الإسلام من الكفّار، حيث فصل القرآن الكريم في العلاقة العامّة بين الكفّار الأعداء الذين يتّخذون موقفاً سياسياً أو عسكرياً عدوانياً ضدّ المسلمين، وبين الكفّار العاديّين الذين لا موقف عدائياً لهم؛ حيث نهى القرآن عن ولاء القِسم الأوّل ومودّته، وأجاز البرّ والقسط للقسم الثاني بقوله عزّ وجلّ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الممتحنة:٨-٩.

ويشير إلى ذلك أيضاً ما ورد من تأكيد أهميّة الدعوة إلى الله تعالى بالأسلوب الذي يتّسم بالعقلانية والمحافظة على العلاقة الإنسانية الاجتماعية العامة، من خلال الحكمة والموعظة الحسنة مع الكفّار، أو الآخرين من غير المسلمين، أو الناس عامة من دون فرق بين المسلم وغيره.

الأصل هو الاحتفاظ بالعلاقة الاجتماعيّة على المستوى الإنساني، ما لم تطرأ أوضاع استثنائيّة تفرض موقفاً آخر كالبراءة أو القطيعة

وكذلك ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف من النهي عن سبّ الكفّار، وذلك من أجل تجنّب التصعيد وتشديد الموقف السلبي من قِبلهم، حيث إنّهم سوف يردّون السبّ بمثله بطبيعة الحال.

وعندما يضع الإسلام «الأخوّة» بوصفها محتوىً لطبيعة العلاقة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، يريد من ذلك أن يضعها من حيث محتواها الإنساني، في صفّ علاقة الأخوّة النسبيّة التي يمتزج فيها الولاء والنصرة والحقوق الاجتماعية بالحبّ والودّ والمشاعر والعواطف الإنسانيّة.

(بتصرّف)

* من كتابه (دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة)

من وصايا الحكيم الإلهي الشيخ حسن زاده آملي

الدوام على الطهارة سببُ الارتقاء إلى العالم القُدسي

هذه الوصية عبارة عن مقتطفات من (رسالة في لقاء الله تعالى) للفقيه العارف الشيخ حسن حسن زاده آملي، أوردها حفظه الله في الجزء التاسع عشر من (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة).

يُشار إلى أنّ الشرح المذكور على (نهج البلاغة) في واحد وعشرين جزءاً، صنّفه العلاّمة الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئيّ (ت: ١٣٢٤ للهجرة)، وبلغ بشرحه حتّى الخطبة (٢١٨)، ولمّا لم يُمهله الأجل، قام سماحة آية الله حسن زاده آملي بتتميم هذه المهمّة بعد سنين، فأنجز خمسة أجزاء منه اعتباراً من الجزء الخامس عشر إلى الجزء التّاسع عشر. ثمّ قام الباحث المعاصر العلامة الشيخ محمّد باقر الكمره اي بإتمامه عبر الجزئين العشرين والحادي والعشرين.

عليك بالمحاسبة! ففي وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله لأبي ذرّ الغفاريّ رحمه الله: «**يا أَبَا ذَرّ، لا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ شَرِيكَهُ، فَيَعْلَمَ مِن أينَ مَطْعَمُهُ، ومِنَ أَيْنَ مَشْرَبُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ، أَمِنْ حِلٍّ ذَلِكَ أَمْ مِنْ حَرَامٍ**».

والمراقبة لله تعالى، وهي العمدة في الباب، وهي مفتاح كلّ سعادة ومجلبة كلّ خير، وهي خروج العبد عن حَوله وقوّته، مراقباً لمواهب الحقّ، ومتعرّضاً لنفَحات ألطافه ومُعرِضاً عمّا سواه، ومستغرقاً في بحر هواه ومشتاقاً إلى لقائه، وإليه قلبه يَحِنّ، ولديه روحه يَئِنّ، وبه يستعين على أداء حقوقه، ومنه يستعين إليه، حتّى يفتح الله له بابَ رحمةٍ لا مُمسكَ لها، ويغلق عليه باب عذابٍ لا مفتّح له، بنورٍ ساطعٍ من رحمة الله تعالى على النفس به يزول عنها في لحظةٍ ما لا يزول بثلاثين سنة بالمجاهدات والرياضات، يبدّل الله سيّئاتهم حسنات؛ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ..﴾ يونس:٢٦، والزيادة حسناتُ ألطاف الحقّ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فعليك بالمراقبة، وعليك بالمراقبة، وعليك بالمراقبة. ففي الباب التاسع والثلاثين من (إرشاد القلوب) للديلمي رضوان الله عليه: «قال الله تعالى: ﴿..وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ الأحزاب:٥٢، وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله لبعض أصحابه: (**اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَراه، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**) وهذه إشارة إلى المراقبة، لأنّ المراقبة علمُ العبد باطلاع الربّ عليه في كلّ حالاته، وملاحظة الإنسان لهذا الحال هو المراقبة، وأعظم مصالح العبد استحضارُه مع عدد أنفاسه أنّ الله تعالى رقيبٌ ومنه قريب، يعلم أفعاله ويرى حركاته ويسمع أقواله ويطّلع على أسراره، وأنّه يتقلّب في قبضته، وناصيته وقلبه بيده، وأنّه لا طاقة له على السّتر عنه، ولا على الخروج من سلطانه.

قال لقمان لابنه: (**يَا بُنَيَّ، إذا أردتَ أن تعصيَ اللهَ فاطلبْ مَكَاناً لا يَراكَ فيه**)، إشارةً منه إلى أنّك لا تجد مكاناً لا يراك فيه، فلا تعصِه! وقال تعالى: ﴿..وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ..﴾ الحديد:٤.

ومن علامات المراقبة إيثارُ ما آثرَ الله، وتعظيمُ ما عظّم الله، وتصغيرُ ما صغّر الله، فالرجاء يحثّك على الطاعات، والخوف يبعدك عن المعاصي، والمراقبة تؤدّي إلى طريق الحياة وتحمل على ملازمة الحقائق والمحاسبة على الدقائق، وأفضل الطاعات مراقبة الحقّ سبحانه وتعالى على دوام الأوقات.

ومن سعادة المرء أن يلزم نفسه المحاسبة والمراقبة، وسياسة نفسه باطّلاع الله ومشاهدته لها، وأنّها لا تغيب عن نظره ولا تخرج عن عمله»، انتهى كلامه قدّس سرّه.

قلت: ومن آداب المراقب أن يراقب أعمال الأوقات من الشهور والأيّام، بل الساعات، بل يواظب أن لا يُهمل الآنات، ويكون على الدوام متعرّضاً لنفحَات أُنسه ونسائم قدسه، كما قال عليه السلام: «**إِنَّ لِرَبِّكُم فِي أَيّامِ دَهْرِكُم نَفَحاتٍ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لها ولا تُعْرِضُوا عَنْها**».

وللعَلَم الآية الميرزا جواد الملَكي التبريزي قدّس سرّه، كتابٌ في (مراقبات أعمال السنة) وهو من أحسن ما صُنع في هذا الأمر، فعليك بالكتاب.

دوامُ الطهارة

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالى: مَنْ أَحْدَثَ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ فَقَدْ جَفَانِي، ومَنْ أَحْدَثَ وَتَوضَّأَ ولَمْ يُصَلِّ رَكْعَتَين فَقَدْ جَفَانِي، ومَنْ صَلَّى رَكْعَتَين وَلَمْ يَدْعُنِي فَقَدْ جَفَانِي، ومَنْ أَحْدَثَ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْن وَدَعَانِي فَلَمْ أُجِبْهُ فِيمَا يَسْأَلُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاه فَقَدْ جَفَوْتُه، وَلَسْتُ بِرَبٍّ جافٍ**».

اعلم يا حبيبي أنّ الوضوء نور، والدوام على الطهارة سببٌ لارتقائك إلى عالَم القُدس، وهذا الدستور العظيم النفع مجرَّبٌ عند أهله جدّاً، فعليك بالمواظبة عليه. ثمّ عليك بعلوّ الهمّة وكبر النفس، فإذا صلّيتَ الركعتين فلا تسأله تبارك وتعالى إلّا ما لا يَبيد ولا ينفد ولا يفنى، فلا تطلب منه إلّا إيّاه.

فإذا صلّيت فقُل ساجداً: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حَلاوَةَ ذِكْرِكَ ولِقَاءَكَ وَالحُضُورَ عِنْدَكَ**» ونحوها.

الجوعُ من خَصال المؤمن

قال عزَّ من قائل: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ**﴾ الأعراف:٣١. واعلم حبيبي أنّ فضول الطعام يُميت القلبَ بلا كلام، ويُفضي إلى جموح النفس وطغيانها، والجوعُ من أَجَلِّ خصال المؤمن، ونِعمَ ما قال يحيى بن معاذ: «لو تشفّعتَ بملائكة سبع سماوات، وبمائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبيٍّ، وبكلّ كتابٍ وحكمةٍ ووليٍّ على أن تصالحَك النفسُ في ترك الدنيا والدخول تحت الطاعة لم تُجبك، ولو تشفّعتَ إليها بالجوع لأجابتك وانقادتْ لك».

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَّ الْبَطْنَ لَيَطْغَى مِنْ أَكْلةٍ، وأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ إِذَا خَفَّ بَطْنُه، وأَبْغَضُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ إِذَا امْتَلأَ بَطْنُه**».

... وقِلّةُ الكلام

إيّاك وفضول الكلام، فقد روى شيخ الطائفة الناجية الطوسي في (أماليه)، بإسناده عن عبد الله بن دينار، عن أبي عمر، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **لَا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةُ القَلْبِ، إِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي**».

(بتصرّف)

أعظمُ مصالح العبد استحضارُه أنّ الله تعالى رقيبٌ ومنه قريب، وأنّه يتقلّبُ في قَبضته سبحانه، وناصيتُه وقلبُه بيده، وأنّه لا طاقة له على الخروج من سلطانه

جريمة آل سعود باغتيال العلّامة الشيخ نمر باقر النمر

آل سعود، وبداية النهاية

إنّها جريمة الزمن الأشدّ سواداً الذي افتتحته دولة القتل والتكفير في شبه جزيرة العرب. تلك هي الصورة التي ظهرت على الملأ حين أوغل حُكم آل سعود في نهجه الدموي، ونفّذ جريمته بالعلّامة الشهيد نمر باقر النمر رضوان الله عليه.

لم يكن الحادث الجَلل بمستغرَب على العارفين بحقيقة الكيان الوهابي منذ تأسيسه، وإلى يومنا هذا. فهو كيانٌ قام ونما على ثقافة القتل، وحروب الإبادة، وها هو يريد لأن يستمرّ ويبقى ليملأ أرض العرب والمسلمين فساداً وإفساداً، وحروب فتنةٍ لا تُبقي ولا تذر.

تداعيات الجريمة لن تتوقف عند حدود الإدانة، لكنّها في واقع الحال ستشكّل افتتاحاً لزمنٍ جديدٍ عنوانه الأبرز بداية النهاية الفعليّة لرحيل الكيان السعودي الوهّابي عن أرض النبوّات والصدّيقين والأئمّة عليهم السلام.

في ما يلي مقتطفات من كلمة سماحة السيّد القائد الإمام الخامنئي دام ظلّه حول هذه الجريمة النكراء، ومقاطع مختارة من خطاب سماحة الأمين العام لحزب الله السيّد حسن نصر الله، الذي ألقاه في ذكرى العلّامة الشيخ محمّد خاتون رضوان الله عليه.

«شعائر»

قائد الثورة الإسلاميّة يُدين قتل العالِم المؤمن المظلوم الشيخ النمر

أدان قائد الثورة الإسلامية سماحة الإمام السيد علي الخامنئي دام ظلّه، بشدّة، الجريمة الكبرى التي ارتكبها النظام الحاكم في العربية السعودية بقتله العالِم المؤمن المظلوم الشيخ نمر باقر النمر، وأكّد سماحته على ضرورة شعور العالم بالمسؤولية حيال هذه الجريمة والجرائم المماثلة التي يرتكبها السعوديون في اليمن، والبحرين، ملفتاً: «لا شكّ في أنّ الدماء المُراقة بغير حقٍّ لهذا الشهيد المظلوم ستؤثّر بسرعة، وستطال يد الانتقام الإلهي تلابيبَ الساسة السعوديين».

وقال الإمام الخامنئي: «هذا العالِم المظلوم لم يكن قد حرّض الناس على الأعمال المسلّحة، ولا مارس التآمر بشكلٍ خفيّ، إنّما عمله الوحيد هو النقد العلني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، النابع من غيرته وعصبيّته الدينية».

واعتبر قائد الثورة الإسلاميّة أنّ استشهاد الشيخ النمر، وإراقة دمه بغير حقٍّ، خطأ سياسي ارتكبته الحكومة السعودية، مضيفاً: «الله تعالى لا يتجاوز عن دم المظلوم، والدم المُراق بغير حقٍّ سيطال بسرعة الساسة والمنفذّين في هذا النظام».

وانتقد سماحته بشدّة صمت أدعياء الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ودعمهم للنظام السعودي الذي يُريق دم البريء على الأرض لمجرّد نقده واعتراضه، مؤكّداً: «على العالم الإسلامي والعالم كلّه أن يشعر بالمسؤولية تجاه هذه القضية».

وقال الإمام الخامنئي: «إنّ تعذيب وإيذاء الشعب البحريني من قبل العسكريّين السعوديين، وهدم مساجدهم وبيوتهم، وكذلك أكثر من عشرة أشهر من قصف الشعب اليمني، لهي نماذج أخرى لجرائم النظام السعودي»، مؤكّداً: «المحبّون الصادقون لمصير الإنسانية، ومصير حقوق الإنسان والعدالة، يجب أن يتابعوا هذه القضايا، وينبغي أن لا يكونوا غير مكترثين لهذا الوضع».

سينال الشهيد الشيخ النمر بالتأكيد الفضل الإلهي، ولا ريب في أنّ يد الانتقام الإلهي ستطال الظالمين الذين اعتدوا على حياته

الإمام الخامنئي دام ظله

وأضاف قائد الثورة الإسلامية: «سينال الشهيد الشيخ النمر بالتأكيد الفضل الإلهي، ولا ريب في أنّ يد الانتقام الإلهي ستطال الظالمين الذين اعتدوا على حياته، وهذا هو ما يمثّل العزاء والسلوان».

السيد نصرالله يُدين جريمة إعدام العلّامة النمر:
الدماء المسفوكة ستكتب نهاية آل سعود

حول الجريمة التي اقترفتها الحكومة السعودية بإعدام العلّامة الشيخ نمر باقر النمر، قال الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله: «في أرض شبه الجزيرة العربية التي تأسّست فيها دولة، وسُمِّيت ظلماً وباطلاً بالمملكة العربية السعودية، أرض الحرمَين وأهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وصحابته، أرض المجاهدين الأوائل وأرض الإسلام، تُسمَّى باسم عائلة، هي عائلة آل سعود التي فرضت نفسها على شعب الجزيرة العربية بالمجازر والقتل والترهيب».

وقال سماحته: «في تلك المملكة لا مجال لرجل دين أو إصلاح أو الاعتراض، إعدام الشيخ النمر ليست حادثة يمكن العبور عنها»، وتساءل سماحته: «هل استطاع القضاء السعودي أن يثبت أنّ الشيخ النمر قاتلَ بالسلاح؟ كلّ مسار الشيخ النمر هو مسار سلمي ككلٍّ علماء المنطقة الشرقية السعودية والبحرين»، وأضاف السيد نصرالله: «الشيخ نمر النمر كان رجلاً شجاعاً جدّاً، ولم يحمل السلاح، بل كان يطالب بحقوق الجزيرة العربية المسمّاة زوراً المملكة العربية السعودية»، وشدّد السيد نصرالله على أنّ «دماء الشيخ النمر ستلاحق آل سعود في الدنيا والآخرة».

وتساءل سماحته: «لماذا الإصرار على الإعدام في هذا التوقيت بالذات، بالرغم من الرسائل التي وُجِّهت إلى المملكة من أجل إيقاف حكم الإعدام أو العفو؟»، وأوضح أنّ «الإعدام رسالة بالدم تقول بأنّ النظام السعودي لا يَعنيه الرأي العام العربي والإسلامي والدولي، ولا يعتني بمشاعر أصدقاء له أو بمئات ملايين المسلمين، وهي تقول (الرسالة) أيضاً أنّ مَن يعارضنا كآل سعود سيُسفك دمه».

واعتبر السيد نصرالله أنّ: «آل سعود يريدون فتنة سنيّة شيعيّة، وهم الذين أشعلوها منذ سنوات طويلة، ويعملون على إشعالها في أيّ مكانٍ من هذا العالم»، ورأى أنه علينا «الانتباه وعدم تحويل الموضوع إلى سنّي – شيعي، وآل السعود هم مَن قتلوا الشيخ نمر النمر». وخلص سماحته إلى أنّ «الدماء المسفوكة ستَكتب نهاية نظام آل سعود، وهذا ما تقوله السُّنن التاريخية».

لوحة ترمز إلى الشارع الذي سمي باسم الشيخ الشهيد في مدينة مشهد المقدسة

الشيخ نمر النمر كان رجلاً شجاعاً جدّاً، ولم يحمل السلاح، بل كان يطالب بحقوق الجزيرة العربية المسمّاة زوراً المملكة العربية السعودية

السيد حسن نصر الله حفظه الله

من تاريخ التشيُّع في البحرين

نقشُ الشهادة بالولاية على النقود قبل تسعة قرون*

إعداد: «شعائر»

الصور المعروضة هنا هي لعملة معدنية (درهم) كانت متداولة في جزيرة أوال (البحرين) قبل تسعة قرون، وتحديداً في العام ٥٤٤ للهجرة، صكّها حكّام الجزيرة العيونيّون من قبيلة بني عبد القيس؛ وهم أُسرة حكمت منطقة الأحساء والقطيف والبحرين في شرق الجزيرة العربية ما بين القرنين الخامس والسابع الهجريَّين (الحادي عشر والثالث عشر الميلاديَّين)، ومنشأهم بموضعٍ يسمَّى بـ«العيون» على ستّة فراسخ شمال مدينة الهفوف.

في كتابه (نقود الدولة العيونية في بلاد البحرين)، الصادر عن مركز «الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية»، يعرض المؤلّف نايف الشريان نماذج من العملات المتداولة في دولة العيونيّين، ومن بينها القطعة المعروضة هنا، واصفاً إيّاها كما يلي:

الوجه

المركز: لا إله إلا الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله.

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم بجزيرة أوال سنة أربع وأربعين وخمسماية.

الظَّهر

المركز: جمال الدنيا والدين الحسن بن عبد الله بن علي.

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

والتشيع في البحرين وقصباتها، مثل القطيف والأحساء وقطر، يرجع إلى زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ حينما عيّن النبيّ صلّى الله عليه وآله والياً عليها هو أُبان بن سعيد بن العاص، وكان من المتمسّكين بوصية رسول الله صلّى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ وليها عمر بن أبي سلَمة، وأمّه السيدة أم سلمة زوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وفي عهد أمير المؤمنين عليه السلام ولّى عليها معبد بن العباس بن عبد المطلب.

وقد حاول عبد الملك بن مروان أن يحمل أهل البحرين على مفارقة التشيّع فأبوا، وأراد أن يستعمل القوّة فخاف بأسَهم، فصالحهم على نزع السلاح وأن يرفع عنهم الخراج لقاء ذلك، وداموا على التشيع لا يخشون سلطة حاكم، ولا يرهبون من التصريح به سطوةَ ظالم، وكان فيها – وما يزال – كثيرٌ من الفقهاء والأفاضل والشعراء.

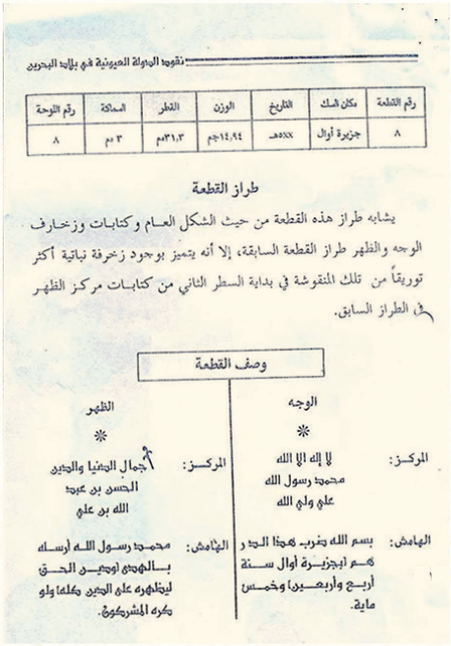

نقود الدولة العيونية في بلاد البحرين

رقم القطعة	مكان الصك	التاريخ	الوزن	القطر	السماكة	رقم اللوحة
٨	جزيرة أوال	٥٤٤هـ	١٤,٩٤جم	٣١,٣م	٣ م	٨

طراز القطعة

يشابه طراز هذه القطعة من حيث الشكل العام وكتابات وزخارف الوجه والظهر طراز القطعة السابقة، إلا أنه يتميز بوجود زخرفة نباتية أكثر توريقاً من تلك المنقوشة في بداية السطر الثاني من كتابات مركز الظهر في الطراز السابق.

وصف القطعة

	الوجه	الظهر
المركز:	لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله	جمال الدنيا والدين الحسن بن عبد الله بن علي
الهامش:	بسم الله ضرب هذا الدر هم بجزيرة أوال سنة أربع وأربعين وخمس مايه.	محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

صفحة من كتاب (نقود الدولة العيونية في بلاد البحرين) لنايف الشريان

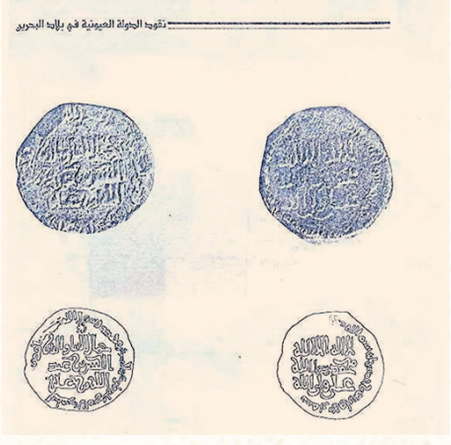

نقش الوجه والظهر للعملة البحرنية قبل تسعة قرون

* نقلاً عن المدونة الإلكترونية (سنوات الجريش)

دوائر ثقافية

موقف	كمالُ العمل بإخلاص النيّة	الإمام الخميني ﷺ
فرائد	تخريقُ صحيفة السيّئات	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	(سفينة البحار ومدينة الحِكَم والآثار)	إعداد: «شعائر»
مصطلحات	الإخبات	الشيخ حسن المصطفوي
بصائر	من مصاديق الصَّدَقة	الشهيد الأول ﷺ
بصائر	تيسيرُ أبواب الدعاء وطُرُقه	المرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي
نفسٌ مطمئنة	فقيد العلم والجهاد الشيخ محمد خاتون ﷺ	إعداد: «شعائر»
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية	إعداد: ياسر حمادة

موقف

كمالُ العمل بإخلاص النيّة

الإمام الخميني قدس سره

تركّز هذه المقالة على وجوب معرفة الأهمية العظمى في تخليص النيّة من مراتب الشرك وألوانه المختلفة التي تعترض مسيرة المؤمن العابد في حياته الدنيا.

هذا النصّ من كتاب (الأربعون حديثاً) للإمام الخميني قدّس سرّه، وهو الحديث العشرون الذي يقع في باب (النيّة). ونظراً لخصوصية النصّ في أبعاده العبادية والأخلاقية والسلوكية ارتأت هيئة تحرير «شعائر» إعادة تظهيره ونشره لما ينطوي عليه من فوائد جمّة.

لا بدّ من معرفة أنّ تخليص النيّة من جميع مراتب الشرك والرياء وغيرها، ومراقبتها والمحافظة عليها، من الأمور الصعبة والمهمّة جداً، بل إنّ بعض مراتبها لا يتيسّر إلّا للخُلَّص من أولياء الله تعالى. لأنّ النيّة عبارة عن الإرادة الباعثة نحو العمل، وهي تتبع الغايات الأخيرة الدافعة نحو العمل، كما أنّ هذه الغايات تتبع الملَكات النفسانية التي تشكّل باطنَ ذات الإنسان وشاكلتَه.

فمَن له حبّ الجاه والرياسة، وغدا هذا الحبّ مَلَكَة نفسانية وشاكلةَ روحه، كان منتهى أمله البلوغ إلى سدّة الزعامة، وكانت أفعاله الصادرة منه تابعة لتلك الغاية، وكان دافعه ومحرّكه هو مبتغاه النفسي المذكور، وصدرت عنه أعماله للوصول إلى ذلك المطلوب. فما دام هذا الحبّ في قلبه، لا يمكن أن يصير عملُه خالصاً. ومَن صار حبّ النفس والأنانية ملَكَةً له، وشاكلةَ نفسه، كانت غاية مقصده ونهاية مطلوبه الوصول إلى ما يلائم نفسه، وكان الدافع والمحرّك له في هذه الأعمال، هذه الغاية نفسها، سواء كانت الأعمال للوصول إلى مطلوب دنيويّ أو أُخرويّ، من قبيل الحُور والقصور والجنّات ونِعَم ذلك العالم. بل ما دامت الأنانية، والذاتية موجودة، كان إقدامه أو سلوكه لتحصيل المعارف الربوبية والكمالات الروحية لنفسه ونفسانيّاته من حبٍّ للنفس لا من حبٍّ لله تبارك وتعالى.

ومن المعلوم أنّ هذين الحبّين لا يجتمعان، بل إذا أحبّ الله كان من أجل نفسه وليس من أجل الله، وكانت غاية المقصود ونهاية المطلوب نفسه ونفسانيّاته.

فاتّضح أنّ تخليص النيّة من مطلق الشرك عملٌ صعب جداً، ولا يقدر عليه كلّ أحد، وأنّ كمال الأعمال ونقصانها تابعٌ لكمال النيّة ونقصانها، لأنّ النيّة هي الصورة الفعلية، والناحية الملكوتية للعمل.

وفي الحديث الشريف تلميحٌ إلى هذا الموضوع: «**وَالنِّيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ العَمَلِ، أَلَا وَإِنَّ النِّيَّةَ هِيَ العَمَلُ**»... فصحّة العمل وفساده وكماله ونقصه مرتبطة بالنيّة.

ثمّ إنّ عمل شخصٍ واحدٍ بعينِه - لاختلاف نيّته - قد يكون تعظيماً للغير، وقد يكون توهيناً له، وقد يصير تامّاً بها، وقد يصير ناقصاً لفقدانها، وقد يكون من سِنخ الملكوت الأعلى وله صورة بهيّة جميلة، وقد يكون من سِنخ الملكوت السُّفلى وله صورة موحشة مخيفة.

إنّ ظاهرَ صلاة (المؤمن)، وظاهرَ صلاة المنافق متضاهيان في الأجزاء والشرائط والشكل الظاهريّ، ولكنْ هذا يُعرَج بعمله إلى الله، ولصلاته صورة ملكوتيّة عُليا، وذاك يغور في أعماق جهنّم، ولصلاته صورة ملكوتية سفليّة.

وعند تقديم أهل بيت العصمة عليهم السلام للفقير أقراصاً من خبز الشعير لوجه الله، تنزل من عند الله سبحانه آيات كريمة في الثناء عليهم، ويحسب الإنسان الجاهل أنّ تحمّل الجوع ليومين أو ثلاثة أيام وتقديم الطعام للفقير أمرٌ مهمّ، بالرغم من أنّ مثل هذه الأعمال يُمكن أن تصدر من أيّ شخص، ومن دون تكلّف. في حين أنّ أهمية هذا العمل تكمن في القصد الخالص والنيّة الصادقة. إنّ روح العمل القوية واللطيفة والتي تصدر عن القلب السليم الصافي، هي مصدر هذه الأهمية القصوى.

فرائد

الجبر والتفويض

«عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عندما ذُكِرَ عِنْدَهُ الجَبْرُ والتّفويضُ، قال: **أَلَا أُعْطِيكُم فِي هَذَا أَصْلاً لَا تَخْتَلِفُونَ (فِيهِ) وَلَا يُخَاصِمُكُم عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا كَسَرْتُمُوه؟**

قلنا: إِنْ رَأَيْتَ ذَلِكَ.

فقال: **إِنَّ اللهَ تَعالَى لَمْ يُطَعْ بِإِكْراهٍ وَلَمْ يُعْصَ بِغَلَبَةٍ، وَلَمْ يُهْمِلِ العِبَادَ فِي مُلْكِهِ، هُوَ المَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُم، والقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُم عَلَيْهِ، فَإِنِ ائْتَمَرَ العِبَادُ بِطَاعَتِهِ لَمْ يَكُنِ اللهُ عَنْها صَادّاً وَلَا مِنْها مَانِعاً، وإِنِ ائْتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِهِ فَشَاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَحُلْ فَفَعَلُوا، فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُم فِيهِ.**

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: مَنْ يَضْبِطْ حُدُودَ هَذَا الكَلَام فَقَدْ خَصَمَ مَنْ خَالَفَهُ».

(عيون أخبار الرضا عليه السلام الشيخ الصدوق)

تخريقُ صحيفة السيّئات

«من المهمّات بعد صلاة العصر لمَن أراد تخريق صحيفته المتضمّنة للسيئات:

عن السكونيّ عن أبي عبد الله الصادق، عن أبيه عليهما السلام، قال:

قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاة العَصْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً وَاحِدَةً: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، الّذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، ذا الجَلالِ والإِكْرامِ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيَّ تَوْبَةَ عَبْدٍ ذَلِيلٍ خَاضِعٍ فَقِيرٍ، بَائِسٍ مِسْكِينٍ مُسْتَكِينٍ مُسْتَجِيرٍ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً، وَلَا مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً، أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِتَخْرِيقِ صَحِيفَتِهِ كَائِنَةً مَا كَانَت».

(فلاح السائل، السيّد ابن طاوس)

إرسال شخص للدّعاء تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام

«.. يستحَبّ للعراقيّ [أي المريض المُصاب في بدنه من أهل العراق أو المُقيمين بها] وأوليائه إرسالُ شخصٍ وَرِعٍ إلى كربلاء ليدعوَ له بالشفاء تحت قبّة سيّد الشهداء عليه السلام. وربّما جرى [هذا الاستحباب] في أهل الأماكن البعيدة، إذ يُرجى حصول الأثر بمجرّد انصراف الداعي عن مكانه متوجّهاً إلى مقصده. ولكلٍّ من المشاهد المشرّفة، والمساجد، وقبور الأنبياء، ومحالّ الأولياء خصوصيّة في استجابة الدعاء على اختلاف مراتبها، فيستحبّ إذاً إرسالُ الداعي إليها».

(كشف الغطاء، الشيخ كاشف الغطاء)

الأحسن قراءةً للقرآن

«عن طاوس قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: أَيُّ النَّاسِ أَحْسَن قِراءَةً؟

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم:

الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأ، رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى الله».

(تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي)

إبليس في صورة المُغيرة بن شعبة

«.. عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ أنه قال: تَمثّلَ إبليس في أربع صوَر: ".." وَتَصوّرَ يومَ قُبِضَ النبيّ صلى الله عليه وآله في صورة المُغيرة ابن شعبة، فقال: (أيّها الناس، لا تَجعلوها [أي الخلافة] كِسْرَوَانِيَة ولا قَيْصَرانِيَة، وَسِّعُوها تَتّسِع! فلا تردّوها في بني هاشم فيُنتظَر بها الحَبالى).

بيان: فيُنتظَر بها الحبالى: أي إذا كانت الخلافة مخصوصةً ببني هاشم، صار الأمر بحيث ينتظر الناس أن تلد الحَبالى أحداً منهم فيصيرَ خليفة، ولم يُعطوها غيرهم».

(بحار الأنوار نقلاً عن أمالي الشيخ الطوسي)

(سفينة البحار ومدينة الحِكَم والآثار) للمحدّث القمّي

موسوعة منهجيّة للعلماء والباحثين

إعداد: «شعائر»

الكتاب: سفينة البحار ومدينة الحِكَم والآثار

المؤلّف: المحدِّث الشيخ عبّاس القمّي (١٢٩٤ - ١٣٥٩ هـ)

تحقيق: «مجمع البحوث الإسلاميّة» التابع للعتبة الرضويّة المقدّسة

الناشر: «العتبة الرضويّة المقدّسة»، مشهد ١٤١٦هـ

كتاب (سفينة البحار ومدينة الحِكَم والآثار) الصادر عن «مجمع البحوث الإسلاميّة» في «العتبة الرضويّة المقدّسة» من تأليف المحدّث الشيخ عباس القمّي، مؤلّف (مفاتيح الجنان)، و(منتهى الآمال)، وغيرهما من الموسوعات التاريخية والرجالية. نُقل عن المرجع الديني السيد الخوئي قدس سره أنه قال: لو فُرض عليَّ أن أختار كتاباً واحداً من مكتبتي لا غير، لاخترت (سفينة البحار). أما المحقّق السيد مرتضى العسكري رحمه الله فلم يكن يحمل في أسفاره غير كتابين؛ أحدهما (السفينة).

جاء في المقدّمة التحقيقيّة للطبعة المعتمدة في هذا التعريف:

اختار المؤلّف لكتابه عنواناً يتّسم بالدقّة والوضوح، وبالجمال أيضاً. و(البحار) في هذا العنوان هو الموسوعة الإسلاميّة الكبرى التي ألّفها العلاّمة المجلسيّ (المتوفّى سنة ١١١٠ هـجرية) طيّب الله ثراه، في أواخر القرن الهجريّ الحادي عشر وأسماها (بحار الأنوار، الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار). وقد قسّمها مؤلّفها إلى كُتب وأبواب، على وفاق عناوين الموضوعات الإسلاميّة في: العقائد، وتواريخ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، والسماء والعالَم، والآداب والسُّنن، والمواعظ والحِكَم، والقرآن، وأبواب الفقه، والإجازات... إلخ، معتمداً على ما يجاوز ستّمائة مصدر.

و(السفينة) هنا، هي الوسيلة المأمونة التي اصطنعها المحدِّث القمّي، لتكون قادرة على أن تمخر عباب هذه البحار المعرفيّة، فتمرّ بها جميعاً مروراً متأنّياً، وتلتقط طائفةً من أنْفَس لآلئها وأغلى دُررها.. ثمّ يقدّمها إلى القارئ - بعد أن أضاف إليها إضافاتٍ كثيرةً استقاها من مصادر أُخَر أو مِن عنده - في كتاب واحد أطلق عليه اسم (سفينة البحار ومدينة الحِكَم والآثار). فجاء هذا الكتاب أشبه شيء بموسوعة مختصرة تمتاز بالتنوّع والتركيز، وكأنّما هو مكتبة غنيّة في كتابٍ واحد صغير.

والحقّ أنّ هذا الكتاب من أهمّ معالم الحركة العلميّة التأليفيّة التي نشأت حول موسوعة (بحار الأنوار)، بل إنّه المشروع الأوّل الرائد في هذا السياق، بعد الاستدراكات والاختصارات والترجمات المدوّنة من قبل، ممّا نَصّ عليه مؤلّف (الذريعة) الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ.

قراءة باصرة

إنّ القراءة الدقيقة لكتاب (السفينة) تستكشف فيه سماتٍ خاصّة، استمدّ الكتاب منها قيمته المنهجيّة والعلميّة، واعتمد عليها في ذيوع اسمه وفي اتّخاذه مصدراً منهجيّاً للعلماء والباحثين، ولِهُواة المعرفة الموسوعيّة العريضة. ومن أهمّ هذه السِّمات:

١) أنّه رتّب موضوعات الكتاب ترتيباً هجائيّاً يعتمد المادّة اللغويّة للّفظة - أو ما يُعرف اليوم باسم «جذر الكلمة» - أساساً للعمل، ثمّ يورد الاشتقاقات التي ورد فيها نصٌّ أو خبر أو اسم عَلَم أو مصطلح من مصطلحات ميادين المعرفة الإسلاميّة والحضاريّة العامّة. وهذا يجعل العثور على المادة المطلوبة سهلاً ميسوراً للقارئ، بالرجوع إلى كلّ مادّة في موضعها من ترتيب

حروف الهجاء. هذا وقد بلغت هذه الموادّ اللغويّة التي عالجها المؤلّف عدداً يربو على (١٧٠٠) مادّة تتضمّن أضعاف هذا العدد من العناوين.

٢) أنّ الكتاب يقوم على انتقاءٍ واعٍ ودقيق من موسوعة العلاّمة المجلسيّ من أوّلها إلى الختام، ما يوفّر على القارئ والباحث كثيراً من الجهد والوقت. وقد أورد المؤلّف في هذا الانتقاء عناوينَ موضوعات (البحار) وشطراً مركّزاً من مادّة كلّ موضوع، مُستنِداً في هذا الانتقاء والاختيار إلى رؤيته الدقيقة وذوقه العلميّ؛ فهو إذ يكتفي مثلاً بآية واحدة أو آيتين من بين آيات الباب الواحد من (البحار)، فإنّما يفعل ذلك - وهو في صدد الإيجاز والاختصار - لأنّه يرى لهذه الآية أو تلك مزيّةً خاصّة في الموضوع. وكذا شأنه في التعامل مع الأخبار والروايات، وسائر ما تتضمّنه الأبواب. ويمكن الكشف عن هذه المزيّة في اختياراته عندما نمرّ، مثلاً، بموضوع العِلْم في مادّة (علم) من (سفينة البحار): تناول في البدء «كتاب العلم» من (البحار)، فوقف على الباب الأوّل الذي اشتمل على عشرين آية، فاستشهد بأُولى الآيات وأُخراها. وحين انتقل إلى أحاديث الباب البالغ عددها (١٢٢) حديثاً اقتبس من بينها حديثين اثنين، ثمّ جاوز الباب الأوّل إلى الباب السادس ولم يتخيّر ممّا بينهما شيئاً، واكتفى بآيةٍ واحدة من الباب. وفي الباب الثامن اقتصر - وقد عَبَر الباب السابع ولم يأخذ منه شيئاً - على آية واحدة من مجموع ثلاث عشرة آية، وعلى حديث واحد كذلك من بين (٩٢) حديثاً.

ولعلّ من النافع - في التعرّف إلى منهجه الدقيق في الاختيار المقصود - أن نُورِد نموذجاً دالاًّ على هذه السِّمة؛ فقد اختار حديثاً واحداً من بين أكثر من مائة حديث في الباب السادس (باب العلوم التي أُمِر الناسُ بتحصيلها). وهذا هو الحديث: «دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله المسجدَ فإذا جماعةٌ قد أطافوا برجل. فقال: **ما هذا؟**

فقيل: علاّمة. قال: **وما العلاّمة؟**

قالوا: أعلمُ الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيّامِ الجاهليّة، وبالأشعارِ والعربيّة.

فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: **ذاك علمٌ لا يضرّ مَن جَهِله، ولا ينفعُ مَن عَلِمه..**».

ولعلّ القارئ قد أدرك أنّ هذا الحديث هو مِن أدخِل الأحاديث في الموضوع المقصود ومن أوفرها دلالة على المراد؛ فهو يتضمّن رسالة مهمّة في تبيين منهج التعرّف والمعرفة للمسلم، ويكشف عن توجيه نبويّ إلى ما ينبغي وما لا ينبغي من المعارف والعلوم.. وفِقَ مقياس كلّي دقيق نصَّ عليه ذيل الحديث المذكور بقوله صلّى الله عليه وآله أنّ المعرفة الصالحة هي: «**آيةٌ مُحكمة، أو فريضةٌ عادلة، أو سُنَّةٌ قائمة، وما خَلاهُنّ فهو فَضل**».

٣) أنّ من أهمّ سمات (السفينة) وأنفعها أنّ المؤلّف قد نظر - لدى حديثه عن المادّة الواحدة - إلى كلّ ما لَه صِلة بها ممّا تضمّنه كتاب (البحار).. فجعله مجموعاً مرتّباً تحت عنوان واحد بعد أن كان

جمع كتاب (سفينة البحار) بين مزيّتَين أساسيّتَين: مزيّة الانتقاء والاختيار، ومزيّة الإضافة والتوسّع.. وجاء نتاج المؤلّف فيه خاضعاً لموازينه الدقيقة في الأخذ والاقتباس، والاحتياط في الرواية والنقل

مبثوثاً متناثراً في طوايا (البحار). وتُلاحَظ هذه المسألة من خلال إحالاته على أجزاء كتاب العلاّمة المجلسيّ؛ ففي مادة «حرث» مثلاً أورد ما يتعلّق بالحارث الهمداني من سبعة مواضع متفرّقة في أجزاء البحار: ٦، ٢٧، ٣٩، ٤٢، ٦٨.. وهكذا.

٤) أنّ العنوان الذي يُورده المؤلّف تحت المادة هو الأشهر الأعرف من بين سائر العناوين الممكنة، كأن يَذكُر اسم العَلَم، لا لقبه وكنيته، إذا كان الاسم هو الأغلب، أو كأن يَذكُر اللقب لا الاسم إذا كان اللقبُ هو الأعرف. ولم يغفل المؤلّف، في هذه الحالة، أن يُحِيل على مادّة أخرى مناسبة للعنوان الآخر. ومن الأمثلة على هذا ما أورده في مادّة «حرث» أيضاً إذ قال: الحارث بن سعيد، أبو فراس الحمدانيّ.. يأتي في «فرس». وإنّما صنع المحدّث القمّي هذا لأنّ كنية أبي فراس أشهرُ مِن اسمه.

٥) أنّ المؤلّف عُني باستثمار المادة اللغويّة الواحدة، فيما تولّده من مشتقّات. وكان من ثمرة عمله هذا أن أضاف موضوعات جديدة لم يوردها مؤلّف (البحار) في ميادينَ شتّى من: التفسير والتاريخ والرجال والأخلاق... إلى آخرها. هذا إلى جانب نصوص آخرى عَمَد إلى انتقائها من مؤلّفين آخَرين نثراً في الغالب، وشعراً أحياناً.. حتّى أنّه استشهد في بعض المواضع بنصوصٍ من الشعر الفارسيّ؛ ففي «كتاب العِلم» من (البحار) اقتبس في الباب السادس - على سبيل المثال - نصّاً من الراغب الأصفهانيّ، ونصّاً شعريّاً لسعدي الشيرازيّ، ثمّ جاء بحديث للإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام له صِلة بموضوع الشعر المذكور. بعدها أحال القارئَ على مادّةٍ أخرى مرتبطة بالموضوع. وفي الباب الثامن أدخل أحاديثَ من خارج الباب، مُحيلاً على مادّة لاحقة، لها مناسَبةٌ بالموضوع، أو مذكّراً القارئ بحديثٍ مَرّ في مادّة سابقة.. وهكذا.

٦) أنّ تعقيبات المؤلّف وتعليقاته في المادّة اللغويّة الواحدة تتّخذ مظاهر عديدة، أبرزها:

أ) الإحالة على مادّة أخرى. وهذا منحى منهجي متقدّم يتفادى التكرار.

ب) شرحٌ لِما غمض من الألفاظ والتعابير، على نحو مركّز يُراعي مقدار الحاجة.

ج) إضافات لإضاءة المادّة، أو لإكمال ما ينبغي إكماله منها.

د) ترجمة الشخصيّات والأعلام التي يُوردها، للتعريف بها. وهذه الترجمة غالباً ما تمتاز بشيءٍ من التفصيل.

هـ) تعقيبات يعقّب بها على الموضوع، أو استعارة نصوص آخرى يتخيّرها من المصادر الأخرى.. تُساهم في إكمال المعرفة في مفردات المادّة المعيّنة من الكتاب الذي أُريد له أن يتّخذ الصبغة الموسوعيّة.

و) التطلّع إلى مزيدٍ من الدقّة والضبط في ذِكْر التواريخ المتّصلة بِسِنِيّ وَفيّات الأعلام.. إذ عَمَد المؤلّف إلى ذِكْر التاريخ بالأرقام، كما هو الشائع المألوف، وزاد على هذا بأن ثبّت - في أغلب الموارد - ما يقابل هذه الأرقام من الحروف الأبجديّة، على وفق طريقة (حساب الجُمّل) المعروفة؛ كأنْ يورد تاريخ وفاة الشيخ الكلينيّ على هذا النحو: «مات أبو جعفر الكلينيّ ببغداد سنة ٣٢٩ شكط سنَة تناثر النجوم». ومن البيّن هنا أنّ لفظة «شكط» مساوية لسنة (٣٢٩) في هذه الطريقة من الحساب.

وهكذا نرى أنّ مشروع (السفينة) يرتبط أشدَّ الارتباط بكتاب (البحار)؛ إذ جمع بين مزيّتَين أساسيّتَين، هما: مزيّة الانتقاء والاختيار، ومزيّة الإضافة والتوسّع.. معتمداً طريقة المفاتيح الكاشفة في كثير من الأحيان. والملاحظَ، فيما أنتجه الشيخُ القمّي في هذا الكتاب، أنّه كان يُخضعه لموازينه الدقيقة في الأخذ والاقتباس، وللاحتياط في الرواية والنقل، ما يُنْبِئ عن تضلّع وتبحّر في المصادر والمرويّات. ولعلّ هذه السمة الموضوعيّة الدقيقة من العوامل التي كانت تحدو ببعض كبار العلماء أن يُوصوا طلبة العلوم الدينيّة بقراءة كتاب (السفينة)، باعتباره «دورة تثقيفيّة» واسعة في المعارف والعلوم التي تفتح آفاق الطالب، وتمدّه بذخيرة جيّدة من التبصّر والاطّلاع.

وأخيراً لا بدّ من الاعتراف بأنّ كتاب (سفينة البحار) قد جاء على طرازٍ بديع، وأُسلوبٍ مُبتكَر، أوضحَ ويَسَّر، بل وزاد على الأصل ونفع بما استدركه من الأحاديث والحِكَم، وبما أضافه إلى (البحار) من فوائد: علميّة، وأخلاقيّة، وتاريخيّة، ورجاليّة..

مصطلحات

الإخبات

المحقّق الشيخ حسن المصطفوي

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ هود:٢٣.

﴿أَخْبَتُوا﴾ مشتقّة من «الإخبات»، وجذرُها اللّغويّ «خبت» على وزن «ثبت»، ومعناها الأصليّ الأرضُ المنبسطة الواسعة التي يُمكن للإنسان أن يخطو عليها باطمئنان وارتياح، فلذلك استُعملت هذه المادّة في الاطمئنان كما استُعملت في الخضوع والتسليم، لأنّ الأرض التي تبعث على الاطمئنان في السير هي خاضعة ومستسلمة للسائرين.

في ما يلي جولة مع مصطلح «الإخبات» في المصادر اللّغوية المختلفة كما جمعها العلامة الشيخ حسن المصطفوي في كتابه (التحقيق في كلمات القرآن الكريم).

* في (مصباح اللّغة) للفيّومي: «أخبتَ الرجلُ إخباتاً: خضع لله وخشع قلبُه، قال تعالى: ﴿.. وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ الحج:٣٤».

* وفي (مقاييس اللّغة) لابن فارس: «خَبْت، أصلٌ واحدٌ يدلّ على خشوع، يقال أخبتَ يُخبت إخباتاً إذا خشع وأخبتَ لله تعالى، قال عزّ ذكره: ﴿.. وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾، وأصله من الخَبْت وهو المفازة لا نباتَ بها».

* وفي (صحاح اللغة) للجوهري: «الخَبْت، المطمئنّ من الأرض، فيه رمل. والإخباتُ الخشوعُ لله. وفيه خبتةٌ أي تواضع. والخَبْت أيضاً ماءٌ لكَلب».

* وفي (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني: «الخَبْت: المطمئنّ من الأرض، وأخبتَ الرجلُ: قصد الخبتَ أو نزلَه، نحو: أسهلَ وأنجدَ، ثمّ استُعمل الإخباتُ استعمالَ اللِّين والتواضع، قال اللهُ تعالى: ﴿..وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ..﴾ هود:٢٣، وقال تعالى: ﴿.. وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ أي المتواضعين، نحو ﴿..لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ..﴾ الأعراف:٢٠٦. وقوله تعالى: ﴿..فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ ..﴾ الحج:٥٤، أي تلين وتخشع، والإخبات هنا قريبٌ من الهبوط في قوله تعالى: ﴿..لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ..﴾البقرة:٧٤.

* وفي (أساس البلاغة) للزمخشريّ: «نزلوا في خَبْتٍ من الأرض وخُبوت، وهي البطون الواسعة المطمئنّة. وأخبتَ القوم: صاروا في الخَبْت، مثل أصحروا. ومن المجاز ﴿.. وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ..﴾ هود:٢٣، اطمأنّوا إليه، وهو يصلّي بخشوعٍ وإخبات وخضوعٍ وإنصات، وقلبُه مُخبت».

الفرق بين الخضوع والإخبات

في (الفروق اللّغوية) لأبي الهلال العسكري، قال: «الفرق بين الخضوع والإخبات أنّ المُخبِت هو المطمئنّ بالإيمان، وقيل هو المجتهد بالعبادة، وقيل الملازم للطاعة والسكون، وهو من أسماء المدح مثل: المؤمن والمتّقي، وليس كذلك الخضوع لأنّه يكون مدحاً وذمّاً.

وأصلُ الإخبات أن يصير إلى خَبْتٍ؛ وهو الأرض المستوية الواسعة، كما تقول أنجدَ إذا صار إلى نَجْد، فالإخبات على ما يُوجبه الاشتقاق هو الخضوعُ المستمرُّ على استواء».

تحقيقُ الكلمة

الخَبْت هو المتّسع المطمئنّ من الأرض ولها انخفاضٌ وانحطاط، وبهذا اللّحاظ قال بعضهم: «هو الوادي العميق الوطيّ»، كما في (التهذيب)، مضافاً إلى أنّ المتّسع المطمئنّ يلازمُه الانخفاض، وأيضاً إنّ الانخفاض يُستفاد من كلمات قريبة من مادّة الخَبْت؛ كالخَبْط، والخَفْض، والخَرّ، والخَضع، والخشوع، والخَسأ، والخَفْت، والخفيّ.

وأمّا الإخبات: فهو كالإصحار والإنجاد، أي نسبة المفهوم إلى الفاعل ويلاحَظ فيه هذه الحيثيّة، فيكون معناه نسبة الخَبْت وقيامه بالفاعل وتلبّسه به، وهذا معنى الورود والدخول والنزول فيه. فالإخبات هو النزول إلى محيط متّسع مطمئنّ، حتّى يستقرّ فيه ويطمئنّ، ويُخلّص عن الاضطراب والانحراف والاختلاف والتردّد، ويلازم هذا المعنى حقيقةَ الإيمان والتسليم والطمأنينة كما في الآيات: * ﴿.. فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ ..﴾ الحج:٥٤.

* ﴿..فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ الحج:٣٤.

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ..﴾ هود:٢٣، فنزلوا إلى محيط الخضوع والطمأنينة، وحصل لهم الطمأنينة والخضوع لله وإلى الله عزّ وجلّ، وهذا نتيجة الإيمان والعمل الصالح.

الصَّدَقة

من مصاديقها الضيافة، والكلمة الليّنة

الشهيد الأول* قدس سره

الصدقة هي العطيّة المتبرَّع بها - بالأصالة من غير نصاب - للقُربة. قال الله تعالى: ﴿..وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ..﴾ البقرة:٢٧٢. وقال النبيّ صلَّى الله عليه وآله: «**الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ**»، وقال عليه السّلام: «**إنَّ الله ليَدفَع بالصَّدَقةِ الدَّاءَ والدُّبَيلةَ** [داءٌ يُصيب الجوف] **والحَرَقَ والغَرَقَ والهَدْمَ والجُنُون..**»، إلى أنْ عَدَّ سَبْعِينَ بَابَاً مِنَ السُّوءِ.

* وقال الصادق عليه السّلام: «**الْمَعْرُوفُ شَيْءٌ سِوَى الزَّكَاةِ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى الله عَزَّ وجَلَّ بِالْبِرِّ وصِلَةِ الرَّحِمِ**».

* وقال الباقر عليه السّلام: «**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَدْفَعُ مَصَارِعَ السُّوءِ**».

* وقال النبيّ صلَّى الله عليه وآله: «**الصَّدَقَةُ بِعَشَرَةٍ، والْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وصِلَةُ الإِخْوَانِ بِعِشْرِينَ، وصِلَةُ الرَّحِمِ بِأَرْبَعَةٍ وعِشْرِينَ**».

* وقال الصادق عليه السّلام: «**دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وادْفَعُوا الْبَلَاءَ بِالدُّعَاءِ، واسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، وهِيَ تَقَعُ فِي يَدِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وتَعَالَى قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْعَبْدِ**».

ويستحَبّ للمريض أن يُعطي السائلَ بيده ويؤمَر بالدعاء له، والصدقة عن الولد ويستحَبّ بيده، والتبكير بالصَّدَقة لدفع شرِّ يومه، وكذا في أوّل الليل للحاضر والمسافر. ويُكره ردّ السائل ولو كان على فرسٍ، وخصوصاً ليلاً.

وثوابُ إطعام الهوامّ والحيتان عظيم. والصدقة تقضي الدَّينَ وتخلف بالبركة وتزيد المال، وإنّ التوسعة على العيال من أعظم الصدقات، ويستحبّ زيادة الوقود لهم في الشتاء.

وتجوز على الذمّي وإن كان أجنبيّاً، وعلى المخالف إلّا الناصب، ومنع (بعضهم) من الصدقة على غير الذِّمّي ولو كانت ندباً، وفي رواية في المجهول حاله: «**أعْطِ مَنْ وَقَعَت لَهُ الرَّحمَةُ فِي قَلْبِكَ**». وأكثر ما يُعطى ثُلثا درهم، وإعطاء السائل ولو ظِلفاً محترقاً، أو تمرة أو شقّها، وإكثارها أفضل، ولو كَثُر السؤال أعطى ثلاثةً وتخيّر في الزائد، وَلْيُؤمَر السائلُ بالدّعاء ولو كان كافراً، والوكيل في الصدقة أحدُ المتصدّقين ولو تعدّد.

وأفضلُ الصدقة جهدُ المُقِلّ وهو الإيثار، وروي: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنى**»، والجمع بينهما أنّ الإيثار على نفسه مستحبّ بخلافه على عياله. ويستحبّ الصدقة بالمحبوب وتُكره بالخبيث، والضيافة من أفضل الصدقة، وكذا سقيُ الماء، والحجّ عن الميّت وخصوصاً الرَّحِم، وبذلُ الجاه، والكلمة الليّنة، والصدقة على الرحم والعلماء والأموات، وإنظار المُعْسر، والإهداء إلى الإخوان، والبدأة بها قبل السؤال، وتعجيلها وتصغيرها [في نفسه] وسَتْرُها، ويجب شكر المنعِم بها ويحرم كفرانها.

ويُكره أن يتصدّق بجميع ماله إلّا مع وثوقه بالصبر ولا عيالَ له، وصدقة المديون بالمُجحِف [أي بما يشقّ عليه]، والصدقة مع التضرّر بها والمَنّ بها، والسؤال لغير الله، فمَن فتح باب مسألة فتح اللهُ عليه باب فقر، وقال زين العابدين عليه السّلام: «**مَنْ سَأَلَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ اضْطُرَّ إِلى السُّؤالِ مِنْ حَاجَة**»، وإظهار الحاجة وشكاية الفقر، ولو اضطُرّ إلى المسألة فلا كراهة.

وتُملَّك [الصدقة] بالإيجاب والقبول والقبض وإنْ كان بالفعل، ولا بدّ فيها من نيّة القُربة، ولا يصحّ الرجوع فيها بعد القبض لرَحِمٍ كانت أو لأجنبيّ، وجوّز الشيخ [الطوسي] الرجوعَ فيها وهو بعيد. والصدقةُ سرّاً أفضل، إلّا أن يُتَّهم بترك المواساة أو يَقصد اقتداء غيره به، أمّا الواجبة فإظهارها أفضل مطلقاً.

(مختصَر)

* من كتابه (الدروس الشرعية في فقه الإمامية)

خمسةُ شروطٍ للاستجابة
تيسيرُ أبواب الدعاء وطُرُقه

المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي*

دراسة شروط استجابة الدعاء توضح لنا كثيراً من الحقائق الغامضة في مسألة الدعاء، وتبيّن لنا آثارها البنّاءة، والرواياتُ الإسلاميّة تذكر شروطاً لاستجابة الدعاء، منها:

١) ينبغي لمن يدعو أن يسعى أولاً لتطهير قلبه وروحه، وأن يتوب من الذّنْب، وأن يقتدي بحياة قادة البشرية الإلهيّين. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إِيَّاكُمْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدُكُم رَبَّهُ شَيْئاً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيا والآخِرَةِ حَتَّى يَبْدَأَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ والْمِدْحَةِ لَه، والصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ وآلِهِ، والاعْتِرافِ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ المَسْأَلة**».

٢) أن يسعى الداعي إلى تطهير أمواله من كلّ غَصْبٍ وظُلم، وأن لا يكون طعامَه من حرام. عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دُعَاؤُهُ فَلْيُطِبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسَبَهُ**».

٣) أن لا يفترق الدعاء عن الجهاد المستمرّ ضدّ كلّ ألوان الفساد، لأنّ الله لا يستجيب لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ولَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسْتَعْمَلَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ**».

تركُ هذه الفريضة الإلهية (فريضة المراقبة الاجتماعية) يؤدّي إلى خُلوّ الساحة الاجتماعية من الصالحين، وترْكِها للمفسدين، وعند ذاك لا أثرَ للدعاء، لأنّ هذا الوضع الفاسد نتيجة حتميّة لأعمال الإنسان نفسه.

٤) العمل بالمواثيق الإلهية؛ فالإيمان والعمل الصالح والأمانة والصلاح من شروط استجابة الدعاء، فمَن لم يفِ بعهده أمام بارئه لا ينبغي أن يتوقّع من الله استجابة دعائه. جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وشكا له عدم استجابة دعائه، فقال الإمام عليه السلام:

«**إِنَّ قُلُوبَكُم خَانَتْ بِثَمَانِ خِصَال:**

أوّلها: أَنَّكُم عَرَفْتُمُ اللهَ فَلَمْ تُؤَدُّوا حَقَّهُ كَمَا أَوْجَبَ عَلَيْكُم، فَمَا أَغْنَتْ عَنْكُم مَعْرِفَتُكُم شَيْئاً.

والثّانية: أَنَّكُم آمَنْتُم بِرَسُولِهِ ثُمَّ خَالَفْتُم سُنَّتَهُ وَأَمَتُّمْ شَرِيعَتَهُ، فَأَيْنَ ثَمَرَةُ إِيمَانِكُم؟!

والثّالثة: أَنَّكُم قَرَأْتُم كِتَابَهُ الْمُنْزَلَ عَلَيكُم فَلَمْ تَعْمَلُوا بِهِ، وَقُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ثُمَّ خَالَفْتُم!

والرّابعة: أَنَّكُم قُلْتُم إِنّكُم تَخَافُونَ مِنَ النَّارِ، وأَنْتُم فِي كُلِّ وَقْتٍ تَقْدُمُونَ إِلَيْها بِمَعَاصِيكُم، فَأَيْنَ خَوفكُم؟!

والخامسة: أَنَّكُم قُلْتُم إِنّكُم تَرْغَبُونَ فِي الجَنَّةِ، وأَنْتُم فِي كُلِّ وَقْتٍ تَفْعَلُونَ مَا يُبَاعِدُكُم مِنَها، فَأَيْنَ رَغْبَتكُم فيها؟!

والسّادسة: أَنَّكُم أَكَلْتُم نِعْمَةَ المَوْلَى فَلَمْ تَشْكُرُوا عَلَيْهَا!

والسَّابعة: إِنَّ اللهَ أَمَرَكُم بِعَدَاوَةِ الشَّيْطَان، وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ..﴾ فاطر:٦، **فَعَادَيْتُمُوهُ بِلَا قَوْلٍ (بالقَول)، وَوَالَيْتُمُوهُ بِلَا مُخَالَفَة.**

والثّامِنة: أَنَّكُم جَعَلْتُم عُيُوبَ النَّاسِ نصْبَ أَعْيُنِكُم وَعُيُوبَكُم وَرَاءَ ظُهُورِكُم، تَلُومُونَ مَنْ أَنْتُم أَحَقُّ باللَّوْمِ مِنْهُ.

فَأَيُّ دُعَاءٍ يُسْتَجَابُ لَكُم مَع هَذا، وَقَدْ سَدَدْتُم أَبْوابَه وَطُرُقَهُ؟ فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَصْلِحُوا أَعْمَالَكُم، وَأَخْلِصُوا سَرَائِرَكُم، وَأْمُرُوا بِالمَعْرُوفِ وانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَسْتَجِيبَ اللهُ لَكُم دُعَاءَكُم».

هذا الحديث يقول بصراحة: إنّ وعد الله باستجابة الدعاء وعدٌ مشروط لا مطلق. مشروط بتنفيذ المواثيق الإلهية، وإنْ عملَ الإنسان بهذه المواثيق الثمانية المذكورة فله أن يتوقّع استجابة الدعاء، وإلّا فلا.

٥) من الشروط الأخرى لاستجابة الدعاء العمل والسعي. عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام: «**الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ**». الوتَر بحركته يدفع السهم نحو الهدف، وهكذا دور العمل في الدعاء.

من مجموع شروط الدعاء المذكورة نفهم أنّ الدعاء لا يُغنينا عن التوسّل بالعوامل الطبيعية، بل أكثر من ذلك يدفعنا إلى توفير شروط استجابة الدعاء في أنفسنا، ويُحدث بذلك تغييراً كبيراً في حياة الإنسان وتجديداً لمسيرته، وإصلاحاً لنواقصه.

أليس من الجهل أن يصف شخصٌ الدعاء بهذا المنظار الإسلامي أنّه مُخدِّر؟!

---

* مختصَر عن تفسيره (الأمثل)

فقيد العلم والجهاد العلامة الشيخ محمد خاتون رحمه الله
.. على بُعْدِ نسمةٍ من فراقٍ طويل

برحيل فقيد الإسلام سماحة العلامة الشيخ محمد خاتون رضوان الله عليه تنطوي صفحة مشرقة من دوحة العلماء الأبرار المجاهدين في لبنان والعالمَين العربي والإسلامي. فقد كان رحمه الله عالماً عاملاً في الجهاد والتبليغ، وداعيةً مشهوداً لمواقفه العلمية والفكرية في تنشيط وتفعيل ثقافة المقاومة.

إذ تتقدّم «شعائر» من أمّتنا العربية والإسلامية، ومن مجاهدي المقاومة الإسلامية وجماهير حزب الله، وآل الفقيد بالعزاء الكبير، تسأل الله تعالى أن يدخله مقام الصدّيقين ويُسكنه فسيح جنّاته.

«شعائر»

أبحثُ عن بَضْعَةٍ منّي شاردة

خاطرة للدكتور مصطفى نور الدين (خال الشيخ محمد خاتون رحمه الله) ألقاها في حفل تأبينه في بلدة جويا:

زمنٌ طويل مرّ حتّى التقيته في بيتي بمناسبة عقد قران ابنتي..

فقلتُ له: أنا مسرورٌ مرّتين، مرّةً لعقد قران ابنتي، والثانية لأَنكَ في بيتي الّذي افتقدكَ منذ زمنٍ طويل.

قال لي: حقّك عليَّ يا (خال)؛ بعد أسبوع عرفتُ بمرضِه. عدت من بيتِهِ وكتبتُ هذه (الخاطرة..).

مرزْتُ بداركُمْ صُبحاً
ومعي الشمسُ تروي
فصولَ الحكايةْ
عن بُرعُمِ عُمْرٍ
فاحَ عطرهُ
في راحتيها
منْذُ البدايةْ
يومَ كانت طفلةً
وأنا في رَحِمِ الحياة
يَضُخُّ نورُها
في جسدي
أَحلامَ المسارِ الطويل
لأرتالِ الطيورِ الوادعةْ
أمضي في حُضنِ أَحبّةٍ
شربوا ممّا شربتُ
حتّى ثَملنا فَغِبنا
في حُلُمٍ

مِن عبقِ الطيب
الروحِ الحانيةْ
باعدتنا الأيامُ
حتّى التقينا
تحتَ ظلالٍ
من دفء بيتي
قدّمتُ له الصدرَ مِخدعاً
ومن قلبي وسادةْ
أسمعتُهُ آياتٍ بيّناتٍ
من كتابِ عَتَبٍ
في القلبِ يُؤرِقُني
بُحْتُ به في حَقلِ عينيه
على إيقاعِ كلماتي الراجفةْ
ما هذا الهجرُ الطويلُ
عن البيتِ وحضني
وأنتَ ابن أُختي
صفِيّةُ الصافيةْ؟

وابنُ أبٍ صديقٍ صدوقٌ
(عليٌ) شيخُ المنابرِ
أَميرُ شعرٍ وقافيةْ
تبسّمتْ دمعةٌ كَحَبّ الندى
بين الرموش الذابلةْ
قرأْتُها أسىً مُبهماً
أحرفاً من كلماتٍ تائهةْ
صاغتها شفتاهُ
على إيقاعِ نبضِ قلبٍ
موسيقى حُنُوٍّ صادحة:
يا (خالُ) يا (خالُ)
لا تعتبْ فأنا على بُعْدِ
نسمةٍ من فراقٍ طويل
أمضي ومعي أسراري
أحلامي الهائمةْ
أمانيّ المسافرةْ
لملمتُ آهاتي

دوّنتها زفراتٍ لاهبةْ
على ورقِ الزعفرانِ نثرتُها
فوق هضابِ جويّا الساهرةْ
تَبحثُ عن طفلها عن ظَبيها
عن شيخها وأنا أبحثُ
عن بِضعةٍ منّي شاردةْ
كانت وغابت
على أملٍ من لقاء
في فَيءِ ظلالٍ
من جنانِ السماء
أهازيج قرانا الحالمةْ
الى أن نلتقي
يا ابنَ أُختي
وحتماً سنلتقي
بلِّغ الأهل والأحبّة
ألف تحيّةٍ وسلام.

من أين آتيك؟

..ورثاء للدكتور السيد هاشم نور الدين

وما بياض عِمّتك
إلّا رشْح قلبكَ الناصع ..
وما سنابل الخير
في واحات كفّيك
إلّا رفّة جفنٍ
فوق بحر عينك الدامع ..
وما الشوق في محيّاك
إلّا وردةً نديّة
في روضك الرائع ..
أنت يا أيّها المسكون
بطهارة الملائكة
وتسليم المطمئنين
الرابض في ساحك
رونق الغروب
وسكينة الليل
وخشوع السَحَر
وسخاء الفجر
وتسبيحات الشمس
على طول النهار ..
أنت أيّها الحرف الجميل
في أبجديّة العشق
أيّها اللون الساحر
في لوحة الغسق
والمبسم الباهر
على وجه الشفق
والطيف الساهر
في كلّ أحوال الأفق
لك في كلّ فصلٍ كتاب ..
وموسم حبّك حاضر
يسكن كلّ الفصول
وفي هدأة عينيك
يحترف المثول
وإعصار الشوق
بين ذراعيك ..
وجدول التوق
بين خدّيك
وشفتيك ومنكبيك
وإشراقة ثغرك
لا غيابٌ ولا أفول ..
من أين آتيك
فبستانك على الدوام
مزهرٌ مثمرٌ مقمر
لا يعرف الخريف والذبول
مساكب وردٍ وودّ ووجدٍ ومجد
ودفءٍ وفَيءٍ وظلٍّ وارف
حبّ وعلمٌ وحلمٌ وسلامٌ ورشد
وسماءٌ لا يجافيها الصفاء
وأديمٌ يربو مع الدعاء
شمسك لا تغيب
وبدرك لا يغادر
وعطاؤك سيولٌ وحقولٌ وبيادر ..
وجهادك خطّتْ مآثرَه
ساحاتٌ وربوعٌ وجموعٌ ومنابر ..
من أين آتيك
وكلّ سبلك معبّدة
مشرعةٌ للعابرين
وكلّ دروبك مغروسةٌ بالرياحين
ومسراك إلى الله
عابقٌ بالياسمين ..
وكلّ الطرق تؤدي إليك
إلى نداوتك وعذوبتك
وينابيع ودادك
وآلاء خصالك
ونُبل روحك ..
يا درّة حنان، وشلّال حنين
يا دوحة إيمان، ومشكاة يقين ...

الرفيقُ المخلص على طول الطريق

نعى أمين عام حزب الله سماحة السيد حسن نصر الله العلامة الشيخ محمد خاتون رحمه الله بكلماتٍ مؤثّرة قال فيها: «نحن دائماً أمام مشيئة الله سبحانه وتعالى وقضائه وقدَره نسلّم كامل التسليم. بالأمس ليلاً رحل عنّا أحدُ إخواننا وعلمائنا الأجلّاء، ممّن شارك في انطلاقة مسيرة حزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان منذ ساعاتها الأولى، وتحمّل فيها أيضاً الكثير من الأعباء الثقيلة والمسؤوليات الكبيرة طوال ثلاثين عاماً، أعني سماحة الأخ العزيز والحبيب والغالي الشيخ محمد خاتون، تغمّده الله برحمته، والذي كان لي شخصيّاً منذ عام ١٩٧٧ أخاً في الروح، وزميلاً في الدراسة من النجف الأشرف، ورفيقاً مخلصاً على طول الطريق».

٢٠١٥/١٢/٢١

حِكَم

يا بُنَيّ: لَا تَأْمَنِ الدّنيا..

من مواعظ لقمان الحكيم

يا بُنَيَّ: أقِلَّ الكَلامَ، واذكُرِ اللهَ عزّ وجلّ، في كلّ مكان، فإنّه قد أنذرَك، وحذَّرك، وبصَّرك، وعلّمَك.

يا بُنَيَّ: اتَّعِظْ بالناس قبلَ أن يتّعظَ الناسُ بك.

يا بُنَيَّ: اتَّعِظْ بالصّغير قبلَ أن ينزِلَ بك الكبير.

يا بُنَيَّ: املِكْ نفسَك عند الغضب حتّى لا تكونَ لجهنّمَ حطباً.

يا بُنَيَّ: الفَقرُ خيرٌ من أنْ تظلِمَ وتَطغى.

يا بُنَيَّ: إيّاك أن تستدينَ فتخونَ من الدَّين.

يا بُنَيَّ: إيّاك أنْ تَستذِلَّ فتُخزى.

يا بُنَيَّ: إيّاك أن تخرجَ من الدنيا فقيراً وتدعَ أمرَك وأموالك عند غيرك قيّماً، فتُصَيّرَه أميراً.

يا بُنَيَّ: إنّ الله تعالى رهَنَ النّاسَ بأعمالهم، فويلٌ لهم ممّا كَسَبَت أيديهم وأفئدتُهم.

يا بُنَيَّ: لا تأمنِ الدنيا، والذنوبُ والشيطانُ فيها.

لغة

ق د س

* **القُدْسُ**: الطّهارة. **والقُدْسُ**: تنزيهُ الله تعالى، وهو المتَقَدِّسُ القُدُّوسُ المُقَدَّسُ.

* **والقُدُّوس**: من صفات الله عزّ وجلّ، وهو الطّاهرُ المُنَزَّهُ عن العُيوب والنَّقائص. وفي التّنزيل: ﴿...ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ...﴾ الحشر: ٢٣.

* **والتَّقْديسُ**: تنزيهُ الله، عزّ وجلّ. **والتَقْديس**: التَّطْهيرُ والتَّبْريكُ، وتَقَدَّسَ أي تَطَهَّرَ؛ وفي التّنزيل: ﴿...وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ...﴾ البقرة: ٣٠، قال الزّجّاج: معنى نُقدّس لك، أي نُطهِّرُ أنفسَنا لك، وكذلك نفعلُ بمن أطاعك؛ نُقَدِّسُهُ أي نُطَهِّرُهُ. ومِنْهُ **الأَرْضُ المُقَدَّسَةُ**، أي المُطَهَّرةُ، وهي أَرْضُ الشّام.

* **والقُدُسُ**: جِبْريلُ، عليه السَّلامُ، كرُوحِ القُدُسُ، وفي الحَديث: «**إِنَّ رُوحَ القُدُسُ نَفَثَ في روعِي**»، يَعني جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلَام، لأَنَّهُ خُلِقَ من طَهَارَةٍ، وفي صِفَةِ عِيسَى عليه السَّلامُ: ﴿... وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ...﴾ البقرة: ٨٧، مَعناه: رُوحُ الطَّهَارَةِ، وهو جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ .

* **والقَدَسُ**، بالتّحريك، السَّطْلُ بلغة أَهل الحجاز لأَنّه يُتطهّر فيه. ومن هذا **بيتُ المَقْدِسُ**: أَي البيت المُطَهَّرُ، أَي المكان الذي يُتطهَّرُ به من الذّنوب.

* **والقَادِسُ**: البَيْتُ الحَرَامُ، وقال يَعْقُوب: من أَسماءِ مَكَّةَ: قادِسُ والمُقَدِّسَةُ، لأَنّها تُقَدِّسُ من الذُّنوبِ، أَي تُطَهِّرُ.

* **والقُدْسُ**: الموضع المرتفع الذي يصلح للزِّراعة.

* **والمُقَدِّسُ**، بكسر الدّال المشدّدة: الحَبْرُ، وقيلَ: الرَّاهِبُ.

* **والقُدَاسُ**: المَنِيعُ الضَّخْمُ مِنَ الشَّرَف؛ يقال: شَرَفٌ قُدَاسٌ، أَي مَنِيعٌ ضَخْمٌ.

* **وقُدْسٌ الأَسودُ، وقُدْسٌ الأَبيَضُ**: جَبَلانِ بالحجاز.

(لسان العرب – مختصر)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

هلاكُ زياد بن أبيه

«في سنة ثلاث وخمسين هلكَ زيادُ بن أبيه بالكوفة في شهر رمضان، وكان يُكنّى أبا المُغيرة، وقد كان كتب إلى معاوية أنّه قد ضبط العراقَ بيمينه، وشمالُه فارغة، فجمعَ له الحجازَ مع العراقَين، واتّصلت ولايتُه بأهل المدينة، فاجتمع الصغيرُ والكبيرُ بمسجد رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وضجّوا إلى الله، ولاذوا بقبر النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ثلاثةَ أيّام، لعِلمهم بما هو عليه من الظّلم والعَسف، فخرجتْ في كفّه بَثْرة، ثمّ حكّها، ثمّ سرَتْ واسودّتْ فصارت آكلةً سوداء، فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقيل: اثنتين وخمسين، ودُفن بالثويّة من أرض الكوفة.

وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرّضهم على لعن عليٍّ عليه السلام، فمَن أبى ذلك عرضَه على السيف.

فذكر عبد الرحمن بن السائب، قال: حضرتُ فصرتُ إلى الرّحبة ومعي جماعةٌ من الأنصار، فرأيتُ شيئاً في منامي - وأنا جالسٌ في الجماعة - وقد خفقتُ، وهو أنّي رأيتُ شيئاً طويلاً قد أقبل، فقلتُ: ما هذا؟ فقال: أنا النقّادُ ذو الرقبة، بُعثتُ إلى صاحب هذا القصر! فانتبهتُ فزعاً، فما كان إلّا مقدارَ ساعة حتّى خرج خارجٌ من القصر، فقال: انصرفوا، فإنّ الأمير عنكم مشغول، وإذا به قد أصابه ما ذكرنا من البلاء، وفي ذلك يقول عبد الله بن السائب من أبيات:

مَـا كانَ مُنتَهِياً عَمَّا أَرَادَ بِنَـا ... حَتَّى تَـأَتَّى لَـهُ النّقـادُ ذو الرَّقَبـة

فَأسقطَ الشّقّ منه ضربةٌ ثَبتتْ ... لَمَّا تَنَاوَلَ ظُلماً صَاحِبَ الرَّحْبَة

يعني بـ(صاحب الرحْبة) عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه».

(مروج الذهب، المسعودي)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

الخَبَارُ

الخَبارُ، بفتح أوّله، وآخره راءٌ: موضعٌ قريبٌ من المدينة، ومعناه الأرض الرّخوة ذات الحجارة. وكان عليه طريق رسول الله ﷺ حين خرج يريد قريشاً قبل وقعة بدر، ويقال له: فَيفاء الخَبار؛ والفَيفُ أو الفَيفاء: المفازة التي لا ماء فيها، جمعُها فَيافٍ.

وفي (معجم البلدان) أنّ الخَبار في نواحي العقيق بالمدينة، وكان قد قَدِم على رسول الله ﷺ نفرٌ من أعراب «عُرَيْنَة» كانوا مجهودين مضرورين، فأنزلهم عنده ثمّ أخرجهم رسول الله ﷺ إلى لقاح له بفَيف الخبار، لتصحّ أبدانُهم.

وذكر ابن هشام في (سيرته) فيفاء الخَبار في غزاة العُشَيْرة، فقال: «فَسَلَكَ عَلَى نَقْبِ بَنِي دِينَارٍ، ثُمّ عَلَى فَيْفَاءِ الْخَبَارِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ بِبَطْحَاءِ ابْنِ أَزْهَرَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ السّاقِ فَصَلّى عِنْدَهَا. فَثَمّ مَسْجِدُهُ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلّمَ، وَصُنِعَ لَهُ عِنْدَهَا طَعَامٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ وَأَكَلَ النّاسُ مَعَهُ، فَمَوْضِعُ أَثَافِي الْبُرْمَةِ مَعْلُومٌ هُنَالِكَ، وَاسْتُقِيَ لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْمُشْتَرِبُ... ثُمّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلّمَ فَتَرَكَ الْخَلَائِقَ بِيَسَارٍ، وَسَلَكَ شُعْبَةً يُقَالُ لَهَا: شُعْبَةُ عَبْدِ اللهِ، وَذَلِكَ اسْمُهَا الْيَوْمَ، ثُمّ صَبّ لِلْيَسَارِ حَتّى هَبَطَ يَلْيَلَ، فَنَزَلَ بِمُجْتَمَعِهِ وَمُجْتَمَعِ الضّبُوعَةِ، وَاسْتَقَى مِنْ بِئْرٍ بِالضّبُوعَةِ ثُمّ سَلَكَ الْفَرْشَ فَرْشَ مَلَلَ، حَتّى لَقِيَ الطّرِيقَ بِصُحَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثُمّ اعْتَدَلَ بِهِ الطّرِيقُ حَتّى نَزَلَ الْعُشَيْرَةَ مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ. فَأَقَامَ بِهَا جُمَادَى الْأُولَى وَلَيَالِيَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَادَعَ فِيهَا بَنِي مُدْلِجٍ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ ثُمّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا».

وفَيفاء الخبار، فيما يُسمّى اليوم «الدّعيثة» أو العزيزيّة بالمدينة، والعزيزيّة، أحد أحياء المدينة المنوّرة، ويقع هذا الحيّ في الجهة الشّماليّة الغربيّة من المدينة المنوّرة، ويبعد عن الحرم النّبويّ نحو عشرة كيلومترات، وهو من الأحياء الكبيرة، وفيه مرافق خدماتيّة ومدارس وجامعات، ومستشفيات.

في مدح الأئمّة عليهم السلام
عِبادٌ لِمَوْلَاهُم، مَوالِي عِبَادِهِ

أسلم بن مهوز المَنبجيّ

أسلم بن مهوز المنبجي، أبو الغوث (ت: ٢٥٤ للهجرة) المعاصر للشاعر العبّاسي البُحتري (ت: ٢٨٦ للهجرة).
عدّه ابنُ شهرآشوب في (المعالم) من شعراء أهل البيت المتّقين. وفي (مقتضب الأثر) لابن عيّاش الجوهري أنّ أبا الغوث المنبجي «كان شاعر آل محمّد صلّى الله عليه وآله، وكان البحتري يمدح الملوك وهذا يمدح آل محمّد صلّى الله عليه وآله»، ثمّ أورد الجوهري قصيدة من قصائد أبي الغوث التي أنشدها البحتريّ عنه، وهي في مدح آل محمّد صلّى الله عليه وآله وذكره الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، إلى تمام خمسة عشر بيتاً؛ وهي القصيدة المذكورة هنا.
وكان أبو الغوث المنبجي معاصراً للإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام العسكريّ عليهم السلام، وقد أنشد قصيدته هذه في مدينة سامرّاء.

وَلِهْتُ إِلَى رُؤْيَاكُمُ وَلَهَ الصَّادِي* ... يُذَادُ عَنِ الوِرْدِ الرَّوِيَّ بذوّادِ
مُحَلَّأً* عَنِ الوردِ اللَّذِيذِ مَسَاغُهُ ... إذا طَافَ وُرّادٌ بِهِ بَعْدَ وُرّادِ
فأعملتُ فيكم كَلَّ هوجاءَ جَسْرَةٍ* ... ذمولِ السُّرى* تقْتَادُ في كلِّ مُقْتَادِ
أَجُوبُ بِهَا بِيدَ الفَلَا وَتَجُوبُ بِي ... إِلَيْكَ وَمَا لِي غَيْرِ ذِكْرَاكَ مِنْ زَادِ
فلمّا تَراءَتْ سُرَّ مَنْ رَأى تجشّمتْ ... إِلَيْكَ فعُومَ المَاءِ* في مُفعَمِ الوادِي
فَأَدَّتْ إِلَيَّ تَشْكِي أَلَمَ السُّرَى ... فَقُلْتُ اقْصِرِي فالعزمُ لَيْسَ بمَيّادِ*
إذا ما بلغتَ الصَّادقين بَنِي الرِّضَا ... فَحَسْبُكَ مِنْ هَادٍ يُشِيرُ إِلَى هَادِي
مَقَاوِيلُ إِنْ قَالُوا، بَهَالِيلُ* إِنْ دُعوا ... وُفَاةٌ بِمِيعَادٍ كُفَاةٌ لِمُرْتَادِ
إذا أَوعَدوا أعفَوْا، وإِنْ وَعَدُوا وَفَوا ... فَهُمْ أَهْلُ فَضْلٍ عِنْدَ وَعْدٍ وَإِيعَادِ
كِرَامٌ، إِذَا مَا أَنْفَقُوا المَالَ أنفَدوا ... وَلَيْسَ لِعِلْمٍ أَنْفَقُوهُ مِنِ انْفَادِ
يَنَابِيعُ عِلْمِ اللهِ أَطْوَادُ دِينِهِ ... فَهَلْ مِنْ نَفَادٍ إِنْ علمتَ لِأَطْوادِ
نُجُومٌ مَتَى نَجْمٌ خَبَا، مثلُهُ بَدَا ... فَصَلّى على الخابي المُهَيْمِنُ والبَادِي
عِبادٌ لِمَوْلَاهُمْ، مَوالِي عِبَادِهِ ... شُهُودٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ حَشْرٍ وَإِشْهَادِ
هُمُ حُجَجُ اللهِ اثْنَتَا عَشْرَةٍ مَتَى ... عَدَدْتَ فَثَانِي عَشرِهُم خَلَفُ الهَادِي*
بِمِيلَادِهِ الأَنْبَاءُ جَاءَتْ شَهِيرةً ... فَأَعْظِمْ بِمَوْلُودٍ وَأَكْرِمْ بِمِيلادِ

---

* **الصّادي**: الظّمآن. * **المُحَلّأ**: المطرود عن سبيل الماء. * **الجسرة**: الناقة الضخمة. * **الذمول**: الناقة السريعة في السير. * **أفعمَ الإناء**: ملأه. * **الميّاد**: المضطرب.
* **البهلول**: الجامع لصفات الخير.
* **الهادي**: رسول الله صلّى الله عليه وآله، والملاحظ أنّ الشاعر يذكر البشارة بولادة الإمام المهديّ عجل الله فرجه على الرغم من أنه صلوات الله عليه لم يكُن وُلد بعد؛ فالمنبجي توفّي سنة ٢٥٤ للهجرة، أي قبل عامٍ واحد من ولادة الإمام عليه السلام.

إصدارات عربية

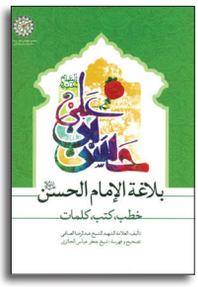

الكتاب: بلاغة الإمام الحسن عليه السلام

المؤلّف: الشهيد الشيخ عبد الرضا الصافي

الناشر: «المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام»، طهران ١٤٣٢ هـ

كتاب (بلاغة الإمام الحسن عليه السلام) الصادر عن «المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام» يتضمّن خُطبَ الإمام السّبط الحسن المجتبى عليه السلام ورسائله وكلماته، جمعه ورتّبه الشيخ عبد الرضا الصافي، وكان قد طُبع للمرة الأولى سنة ١٣٨٦ هجرية في كربلاء المقدسة.

جاء في مقدمة المؤلّف: «الحسَنُ، صلوات الله عليه، ورث البلاغة من ينبوعها.. فكان كلامه عليه السلام يمثّل كلام أبيه أمير المؤمنين لما فيه من آداب ومواعظ وأوامر ونواهٍ وعِبَر وزواجر.. ثمّ إني رأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة: منها ما يكون نحو الخطابات العامّة، ومنها ما يكون على نحو المراسلات، ومنها ما يكون على نحو المواعظ والآداب. فلذا رتّبتُه على ثلاثة أبواب على ترتيب (نهج البلاغة)، ثمّ ذكرت في آخره خاتمة في مواضيع مختلفة رُويت عنه عليه السلام في مواضيع محصورة».

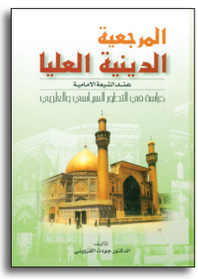

الكتاب: المرجعية الدينية العُليا عند الشيعة الإمامية

المؤلّف: الدكتور جودت القزويني

الناشر: «الخزائن لإحياء التراث»، ٢٠١٤م

عن دار «الخزائن لإحياء التراث» صدر كتاب (المرجعية الدينية العليا عن الشيعة الإمامية – دراسة في التطور السياسي والعلمي) لمؤلّفه الدكتور جودت القزويني. وممّا جاء في مقدّمة المؤلّف حول أبحاثه في الكتاب:

* يتناول البحث دراسة التطوّر التاريخي للمرجعية الدينية الشيعية ابتداءً بالقرن الرابع الهجري وانتهاءً بعصرنا الحاضر.

* يتوزّع البحث في فصول ستة: الحوزة العلمية ببغداد منذ عهد الشيخ المفيد وانتهاء بالشيخ الطوسي – الحوزة العلمية بالحلّة وعلاقة المؤسّسة الدينية بالحكم المغولي للعراق – الحوزة العلمية في جبل عامل، الموقف الداخلي الشيعي تجاه الحكم المملوكي، وأثر فقهائها في الدولة الصفوية بعد هجرتهم إلى إيران – الحوزة العلمية في النجف أوائل القرن الثالث عشر الهجري إلى أواخر القرن الرابع عشر – الحوزة العلمية في قم، دور الشيخ عبد الكريم الحائري في تخريج نخبة من المجتهدين.

* عالج الكتاب التطوّر العلمي لمؤسسة الفقهاء، لكنّه لم يركّز على تطوّر مفردات المواضيع الفقهية والأصولية والكلامية وما يخصّ علم الرجال والحديث، وإنّما ركّز على تحديد زمن نشأة هذه العلوم وتطوّر المؤلّفات التي كُتبت حولها فيما بعد.

الكتاب: الفقيه الأعلى

المؤلّف: محمود حيدر

الناشر: «دار المعارف الحكمية»، بيروت ٢٠١٥م

صدر عن «دار المعارف الحكمية» في بيروت كتاب (الفقيه الأعلى، واحديّة الشرع والكشف في مهمّة العارف الخاتم)، لمؤلّفه الباحث في فلسفة الأديان الأستاذ محمود حيدر.

جاء في التعريف بالكتاب: «الكتاب الذي بين يديك يُعيد سبْك ما اختطّه العرفاء حول الولاية الخاتمة وعلاقتها بالشرع، فيصوغ الكاتب من خلال الكلام قلائد المعرفة المنفتحة على الأسماء، فيعالج هذا المفهوم متنقّلاً بك إلى حيث تسكن النفس مع العارف القابض على الحقيقة، فتنظر من مكانك إلى كيفية التحوّل والترقّي في المقامات الموصلة الى معرفة الله، فتدرك ذلك التكامل بين الشريعة الظاهرة والشريعة الباطنة. والكتاب قراءة جديدة تعمل على استجلاء هوية العارف الواصل، واستقراء الغاية من خَتم معراجه التكليفي الخاصّ، وهي قراءة تأويلية، تنطلق من تراثٍ عرفانيّ ثريّ وغنيّ».

التفكُّر في القرآن.. حياةُ قلب البصير

الهدف من تلاوة القرآن الكريم هو ارتسامُ صورته في القلب، وتأثيرُ الأوامر والنواهي فيه، وتثبيتُ الأحكام والتعاليم الإلهية. ولا يتحقّق هذا إلّا في ظلّ مراعاة آداب التلاوة.

ليس الهدف من آداب تلاوة القرآن الكريم ما هو المعروف لدى بعض القُرّاء من الاهتمام الزائد بمخارج الألفاظ، وأداء الحروف.. فإنّ كثيراً من الكلمات القرآنية، نتيجة مثل هذا التجويد، تفقد صورتها الخلّابة الأصيلة، وتتحوّل إلى صورة أخرى.. تختلف عما أراده الله تعالى. وهذا يُعتبر من مكائد الشيطان؛ حيث يتلهّى الإنسان المؤمن إلى آخر عمره بألفاظ القرآن.. بل ينكشف لديه بعد مضيّ خمسين عاماً أنّه من جرّاء تغليظ بعض الحروف، والتشديد فيها، قد أخرج صورة بعض الكلمات كليّاً عن حالتها الطبيعية وأصبحت ذات صورة غريبة.

الهدفُ المنشود من وراء آداب قراءة القرآن، تلك الآداب التي وردت في الشريعة المقدّسة، والتي يعدّ من أفضلها وأعظمها التفكّر والتدبّر في آيات القرآن.

في الكافي الشريف بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنَّ هذاَ القُرْآنَ فِيهِ مَنَارُ الهُدى وَمَصَابِيحُ الدُّجى، فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَهُ وَيَفْتَحْ لِلضِّيَاءِ نَظَرَهُ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَياةُ قَلْبِ البَصِيرِ؛ كَمَا يَمْشِي المُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ**».

وفي (المجالس) بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السّلام، في كلامٍ طويل في وصْف المتّقين: «**.. وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، فَاقْشَعَرَّتْ مِنْهَا جُلُودُهُمْ وَوَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، فَظَنُّوا أَنَّ صَهِيلَ جَهَنَّمَ وَزَفِيرَهَا وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ**».

من الواضح أنّ مَن يتمعّن ويتدبر في معاني القرآن الكريم، يتأثّر قلبه، ويبلغ مقام المتّقين شيئاً فشيئاً. وإن حَظِيَ بتوفيقٍ وسَدادٍ من الله تعالى، لَتجاوز هذا المقام أيضاً ولَتحوّل كلّ عضوٍ وجارحةٍ وقوّةٍ منه إلى آيةٍ من الآيات الإلهية، ولعلّ جَذَوَات خطاب الله وجذَباته ترفعُه وتبلغُ به إلى مستوى إدراك حقيقة «**اقْرَأْ وارقَ**» في هذا العالم، وانتهى إلى مرحلة سماع الكلام من المتكلّم من دون واسطة، وتحوّل إلى موجودٍ لا يسَعُ الإنسانَ فهمه واستيعابُه.